

دراسات في اللسانيات العربية

المشاكلة - التنغيم - رؤى تحليلية

1





دراسات في اللسانيات العربية



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٣/٧/١٣٢٢)

٤١٠,١

السيد، عبد الحميد

دراسات في اللسانيات العربية: المشاكلة، التنغيم، رؤى تحليلية/ عبد الحميد السيد.-

عمان: دار ومكتبة الحامد، ٢٠٠٣.

(   ) ص

ر.إ.: (٢٠٠٣/٧/١٣٢٢)

الواصفات: / اللسانيات//اللغة العربية// تدريس اللغات// الأبحاث اللغوية//الترجمة/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

* رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٣/٦/١٢١٥

* (ردمك) ISBN9957-32-036-x



شفابدران – شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية

هاتف: ٥٢٣١٠٨١ فاكس ٥٢٣٥٥٩٤- ٠٠٩٦٢٦

ص.ب (٣٦٦) الرمز البريدي (١١٩٤١) عمان – الأردن

دراسات في
اللسانيات العربية

المشاكلة - التنغيم - رؤى تحليلية

الدكتور عبد الحميد السيد
الجامعة الهاشمية

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م



إهـــداء

إلى رنـــا "الابنة"

احتفالاً بتخرجها في الجامعة مهندسة بارعة

وإلى

لارا "الحفيدة"

احتفاء بمقدمها وبزوغ فجرها

المحتـــوى

الموضوع	الصفحة
إهداء	أ
مقدمة الكتاب	هـ
– **الدراسة الأولى: ظاهرة المشاكلة في اللغة العربية**	٥
* مقدمة	٧
* المشاكلة لغة واصطلاحاً..	٨
– المشاكلة على المستوى الصوتي..	١٠
– ظاهرة الإبدال	١١
– ظاهرة الإتباع	١٣
– ظاهرة الإمالة	١٦
– حركة المناسبة	١٧
– المحاذاة والمزاوجة	١٨
– ظاهرة الأتباع	٢٠
– الفواصل القرآنية.	٢٠
* المشاكلة على المستوى النحوي..	٢٢
* المشاكلة على المستوى الدلالي	٢٩
– خاتمة	٣٢
– **الدراسة الثانية: التنغيم ودوره في التحليل اللغوي**	٤٧
* مقدمة	٤٩
* النبر	٤٩

* التنغيم والنغمة ٥١
*الوقف والسكت والقطع ٥٥
* التنغيم في الفكر التراثي ٥٦
* التنغيم في الأنظار الحديثة ٥٩
* دور التنغيم في التحليل اللغوي ٦٠
* التنغيم و علامات الترقيم ٦٨
* خاتمة ٦٩
– الدراسة الثالثة: أبو حيان وبحره المحيط "التفسير الكبير" ٨١
* مقدمة ٨٣
* البحر المحيط: مضمونه، منهجه، أهميته ٨٤
* مذهب أبي حيان النحوي ٨٥
أ. التزامه بظاهر النص، ٨٦
ب. التزامه بالصناعة النحوية ٨٧
* مسائل النحو في البحر المحيط ٨٨
* الأصول والضوابط في تشكل الوجه النحوي ٩٣
أ. الاعتداد بالسماع ٩٣
ب. الاعتداد بالقياس.. ٩٥
ج. الاعتداد بالمعنى ٩٦
د. الاعتداد بالأصل ٩٩
* خصائصه المنهجية ١٠١
* ملامح نحو النص عند أبي حيان ١٠٣
* السياق الخارجي والسياق الداخلي ١٠٤
١. العطف ١٠٥
٢. الإحالة ١٠٦

٣. التكرير ١٠٨
٤. الربط المعنوي ١١٠
٥. التعليق ١١١
٦. التناص ١١٢
٧. ظواهر مختلفة ١١٣
* خاتمة ١١٧
– الدراسة الرابعة: التحليل النحوي عند ابن هشام الأنصاري ١٢٧
* مدخل ١٢٩
* الجملة عند ابن هشام ١٣١
* الشكل والمضمون ١٤٦
* المعنى المعجمي ١٤٧
* المعنى الاجتماعي أو معنى المقام ١٤٨
* المعنى الوظيفي ١٤٩
* السياق اللغوي ١٥٢
* الأداء الصوتي ١٥٣
* الرجوع إلى الأصول المقدرة ١٥٤
* خاتمة ١٦٣

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي تقدست ذاته عن النّدّ والمثال، وتعالَتْ صفاته وتسامَتْ أسماؤه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين، وبعد،

فينتظم هذا الكتابُ دراساتٍ في اللسانيات العربية، تنوعت موضوعاتها، وتفرقت مواطن كتابتها بسبب مسيرة صاحبها الشائكة ورحلته الأكاديمية في أقطار شتى من العالم العربي، وقد نشرت في دوريات محكمة، ولكنّ جامعاً يجمعها في الغاية؛ ذلك أنها تعالج ظواهر مختلفة من ظواهر اللسانيات العربية في مستويات لسانية متنوعة.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية حدد صاحبها ثلاثة مصادر يصدر عنها في هذه المعالجة:

أولها : يَسْتَكْنِه أنظار النحاة القدامى، رحمهم الله، وما قدّموه من تحليلات هادية في دراسة الظاهرة النحوية على اختلاف مستوياتها وأبعادها التركيبية والدلالية والتداولية.

وثانيها : يتوقف عند أعمال البلاغيين، وبخاصة علماء المعاني، وأعمال المفسرين المرتبطة بالتراكيب النحوية فهماً وتحليلاً.

وثالثها : ينتفع بالأنظار اللسانية الحديثة، بمعطياتها وأدواتها في الكشف عن أسرار الظاهرة اللسانية.

ويمكن تبين ذلك من خلال ما عرضته هذه الدراسات:

فالدراسة الأولى: تتناول ظاهرة المشاكلة، حيث حاولت أن ترسم صورة لهذه الظاهرة في اللغة العربية، وقد سلكت لهذه الغاية سبلاً متعددة، تمثلت في معالجة هذه الظاهرة على المستوى الصوتي والنحوي والدلالي، وفي ظل هذه المعالجة استطاعت الدراسة أن تُفسِّر كثيراً من الظواهر اللغوية، كظاهرات: الإبدال والإدغام و الإمالة وحركات الإتباع والمجاورة ومشاكلة المعنى للمعنى ومشاكلة اللفظ للمعنى.

والدراسة الثانية: تتناول ظاهرة التنغيم ودوره في التحليل اللغوي؛ من خلال تحديد مفهوم النبرة والنغمة والتنغيم باعتبارها ظواهر صوتية تزدوج مع البنية اللغوية للتركيب؛ فتساعد على فهم قيم التراكيب ودلالاتها في مختلف اللغات. والعربية، كغيرها من اللغات، يؤدي فيها التنغيم دورا مهما في التحليل اللغوي؛ فقد أشارت الدراسة إلى إسهام علماء القراءات في تقديم منهج متكامل للأداء القرآني يتصف بخصائص صوتية انفردت بها التلاوة، ومن ذلك: ظاهرة الوقف والابتداء والسكت والقطع، وكلها تقوم بما يقوم به التنغيم في الكلام؛ فتؤدي وظائف دلالية ونحوية. وقد انتهت الدراسة إلى بيان دور التنغيم وأثره في التحليل الغوي من حيث تفسير الظواهر النحوية المختلفة، وتحديد العناصر اللغوية المكونة للجملة، ومسألتا عدد الوجوه الإعرابية والغموض التركيبي، وعرض أمثلة كثيرة كان للتنغيم دور حاسم في محاكمتها وتحقيقها؛ مما يقدم دليلا على أن التنغيم جزء لا يتجزأ من النحو.

والدراسة الثالثة: تتناول أبا حيان وبحره المحيط "التفسير الكبير"، فتعرض مضمون البحر ومنهجه وأهميته، ومذهب أبي حيان النحوي الذي يقوم على التزامه بظاهر النص وبالصناعة النحوية، ثم تعرض لمسائل النحو في البحر والأصول والضوابط التي أقام عليها أبو حيان تشكل الوجه

النحوي، منتهية إلى بيان خصائصه المنهجية وملامح نحو النص عنده من خلال هذا التفسير الكبير.

والدراسة الرابعة: تعالج التحليل النحوي عند ابن هشام الأنصاري من خلال كتابه "مغني اللبيب"، حيث ناقشت الدراسة الجملة عنده، ثم حاولت بيان الأصول والمبادئ التي صدر عنها ابن هشام في التحليل النحوي، مبينة أنه كان يصدُر في ذلك عن أصول النحاة التي جاءت مبعثرةً في ثنايا مُحاكماتهم التراكيب اللغوية، وقد قابلت الدراسةُ هذه الأصول بما يناظر عند التحويليين؛ إيماناً بأن هذه المقابلة تهيئ مجالاً جديداً وحصاداً خصيباً يعين على فهم الظاهرة اللسانية.

هذه، إذن، دراسات في اللسانيات العربية، تنقلت في معالجة ظواهر في العربية، كما بينا، ويتبعها، إن شاء الله، دراساتٍ أخرى في الإطار نفسه.

أسأل الله، تبارك وتعالى، أن يكون عملي خالصاً لوجهه.

والحمد لله

في بَدْءٍ وفي خَتَمِ

عبد الحميد مصطفى السيد

عمان في ١٤٢٤/٣/٢٣هـ

الموافق ٢٠٠٣/٥/٢٥م.



الدراسة الأولى
ظـــــاهرة المشـــاكلة
في اللغة العربية



مقدمـــــة

تقوم ظاهرة "المُشَاكلة" في اللغة العربيـــة علـــى نظـــام مـــن الأحكـــام المحدودة، ويتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور اللغوية التـــي فَــزِعَ إليـــها العربي في كلامه؛ إيفاءً لنظم الكلام وسياقه، وإنْ خالف أصل الوضع اللغوي.

وقد فطن لهذه الظاهرة الزَّجَّاج في "إعراب القرآن المنسوب إليه" وَعقــد باباً واسعاً لما يجيء في التنزيل من ازدواج الكلام والمطابقة والمشاكلة[١] وكــذا عرض الزركشي في "البُرهان" لما يجيء في التنزيل من : مُشاكلة اللفظ للفــظ، ومشاكلة اللفظ للمعنى[٢].

ودرسها من المحدثين د. محمد بدري عبد الجليل "بما هي وجوه دلالـــة، اندرج تحتها أثر ذلك على اللغة فهماً وإصداراً ، دلالة وصياغة"[٣].

إنَّ مما يُسوغ بحث هذه الظاهرة من جديد أنَّ الدراسات التـــــي قـــامت حولها جاءت مُبتسرة ، واكتفت باللمحة، ووقفت عند المثال والإشارة، ولم تقـــدم تفسيراً، ولا يعني هذا أننا نبخس هؤلاء جهدهم، فمما لا شك فيه أن هذه الجـــهود كانت مفيدة في إضاءة الطريق، فقد استطعنا من خلالها أن نقف علــــى ألـــوان وصور هذه الظاهرة التي عرفتها العربية.

وتقوم هذه الدراسة على منهج وَصْفي في البحث، اتجــــهت فيـــه إلـــى ملاحظة الظاهرة في صورها المختلفة، ثم رصدها، محاولاً تقديم تفسير مؤســس على ضوء ملاحظات علمائنا القدماءوالدراسات الحديثة.

وقد رأيت أن أتحدث أولاً عن المشاكلة لغةً واصطلاحاً ثم أتحدث عـــــن مفهومها عند القدماء والمحدثين، ثم أعالجها بعد ذلك على المســـتوى الصوتـــي والنحوي والدلالي، وأختم البحث بخلاصة تعبر عن رأيي في الموضوع.

المشاكلة لغة واصطلاحاً

الشكل في اللغة الشِّبْهُ والمثلُ ، وتَشَاكَل الشيئان وشاكل كُل واحد منهما الآخر: شابهه وماثله. ويقال: هذا على شَكْل هذا، أي مثاله، والمشاكلة الموافقة والمماثلة والمشابهة، والتَّشاكُلُ مثله[٤]. وفي التنزيل العزيز: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾[٥] أي: على طريقته وجديلته ومذهبه[٦]، والمشاكل من الأمور ما وافق فاعله ونظيره، قال الزمخشري في تفسير الآية : "أي على مذهبه وطريقته التي تُشاكل حاله في الهدى والضلالة، من قولهم: طريق ذو شواكل، وهي الطريق التي تتشعب منه، والدليل عليه قوله: ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [٧] أي أسَدُّ مذهباً وطريقة[٨]. وروى عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– قال: لم أرَ في القرآن آية أرجى من هذه، لا يشاكل بالعبد إلا العصيان، ولا يشاكل بالربّ إلا الغفران.[٩]

وهكذا تتصرف لفظة "المشاكلة" إلى معنى الموافقة أو المماثلة أو المشابهة، ومن هذا المعنى يمكن إطلاق لفظ المشاكلة في اللغة على الظاهرة التي يراعى فيها تماثل أو توافق أو تشابه شيئين، أيّاً ما كانا: صوتين أو لفظين أو لفظاً ومعنى أو غير ذلك،فيجرى أحدها مجرى الآخر، وإن كانا مختلفين. ولا أرى بي حاجة إلى التمثيل، فما نقدمه من أمثلة في هذا البحث كفيل بتوضيح ذلك.

وقدبدت ملامح هذا المصطلح على أيدي البلاغيين، فأطلقوه على لون من ألوان البديع، وهو عندهم[١٠]: ذكرْ الشيء بلفظ غيره لوقوعه فيّ صحبته تحقيقاً، نحو قول أبي تمام :

مَنْ مُبْلِغ أفناء يَعْربَ كُلَّها   أني بَنيْتُ الجارَ قبل المنزلِ؟

ولا يقال: بَنَيتُ الجار، والذي سوّغ ذلك مراعاة المشاكلة، فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار"[11].

ومنه قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [12] فأطلق النفس على ذات الله ؛ لوقوعه في صحبة (نفسي) على سبيل مُشاكلة اللفظ للفظ. وقوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[13] فالتعبير عنه سبحانه بالنسيان للمشاكلة[14].

أو تقديراً : نحو قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ [15] ، فصبغة مصدر مؤكد لقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾[16] قبله، والمعنى : تطهير الله ؛ لأنَّ الإيمان يطهر النفوس، فعبر عن الإيمان بالله بصبغة الله ؛ لوقوعها في صحبة الإيمان[17].

ولم تُوصف "المشاكلة" عند علماء العربية الآخرين على أنّها ظاهرة عامة، بل جاءت أشتاتاً في كتبهم مقصورة على أمثلة للظاهرة، نحو ما أشار إليه الزجاج والزركشي[18]. وقد يرد المصطلح في أثناء كلامهم دون أنْ يكون مقصوداً لذاته، وقد تتعدد المصطلحات: ففي النحو مثلاً نجد المجرور بالمجاورة، ونجد حركة الإتباع والمناسبة، وفي الصرف نجد المشاكلة علة من العلل، وفي الأصوات نجد المماثلة أو المضارعة بما هي تأثر صوت بصوت. والفواصل القرآنية "حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعنى".

ونجد المحاذاة والمزاوجة والمطابقة والمناسبة والإتباع، والواقع أنَّ هذه المصطلحات في حقيقتها تجمعها المشاكلة وتنتظم في دائرتها؛ وهذا ما سنجده تالياً، إنْ شاء الله.

المشاكلة على المستوى الصوتي

الأصوات هي اللبنات التي تشكّل اللغة، أو المادة الخام التي تُبنى منها الكلمات والعبارات، فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة[١٩]. وقدقسم المحدثون الأصوات إلى قسمين رئيسيّن : سموا الأول منهما الأصوات الصامتة (Consonants) والثاني الأصوات الصائتة أو العلل (Vowels) ، والعلل : قصيرة، وهي الحركات الثلاث عند القدماء: الفتحة والضمة والكسرة، وطويلة وهي: واو المد وياء المد والألف، وأنصاف علل، وهي: الواو والياء. وأساس هذا التقسيم عندهم هو الطبيعة الصوتية لكل من القسمين[٢٠].

ولكل صوت من هذه الأصوات صفات خاصة به، كأن يكون مجهوراً أو مهموساً أو مفخماً أو مرققاً، أو غير ذلك من الصفات. والأصوات حين تتجاور في المتصل من الكلام لا تحتفظ بخصائصها التي تعرف بها حين تكون أصواتاً مستقلة، بل تكتسب خصائص جديدة[٢١] "فالنظام الصوتي للغة يقرر مثلاً أن الدال مهجورة، وأنّ التاء مهموسة، ويُصرُّ النظام على اطراد هذه القاعدة وإطلاقها، ولكن الكلام وهو التطبيق العملي لنظام اللغة قد يشتمل على دالٍ الساكنة متبوعة بتاء متحركة، وهنا نجد أنّ تجاور الحرفين على هذا النحو يَتَسبَّبُ في صعوبة عضوية تتحدى محاولة الحفاظ على ما قرره النظام، كما يتسبب التقاء المتقاربين دائماً في احتمال اللبس لو حاولنا في نطقهما عبثاً أن نرضي مطالب النظام، وهنا تظهر مشكلة من مشاكل التطبيق يحلها السياق بظاهرة الإدغام، فتكون الدال والتاء في النطق كالتاء المشددة تماماً (قَعَدتُ = قَعَتّ)"[٢٢].

وتأثر صوت بما جاوره وانقلابه إلى جنس الصوت الآخر أو انقلابه إلى صوت مقارب له[٢٣] أو انتقاله إلى مخرجه – هو ما سماه القدماء: المضارعة

أو التقريب أو التجانس[٢٤]، وهو المماثلة عنـد علمـاء الأصـوات المحدثيـن (Assimilation)[٢٥] . وقد يكون التأثر رجعياً "Regressive" وفيه يتأثر الصـوت الأول بالثاني، وقد يكون تقدمياً "Progressive" وفيه يتأثر الثاني بـالأول. وقـد اشتملت اللغة العربية على هذين النوعين من التـأثر، وإن كـان النـوع الأول أكثرشيوعاً فيها[٢٦].

والأصوات في تأثرها تهدف إلى تحصيل التشاكل أو المماثلـة بينـها؛ ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج، وهو مطلـب مُـهمٌ مـن مطالب السياق، وهو تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطـق، ويمكـن أن يسمى هذا التأثر "بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، وهي ظاهرة شائعة فـي كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعـه"[٢٧] وسَعْي اللغة ونظامها إلى تحقيق الانسجام الصوتي أبرز مظاهر التشاكل.

وفي أكثر مسائل علم الصرف وبخاصة في موضوع كموضوع الإعلال والإبدال، أو الإدغام أو الإمالة، نجد التشاكل علة من العلل[٢٨]، وإليك الأمثلة:

ظاهرة الإبدال

- الإبدال المطرّد في صيغة "افتعل" حين تكون فاؤها : دالاً أو ذالاً أو زاياً أو أحد أصوات الإطباق يتضمن نوعي التأثر الرجعي والتقدمي[٢٩] ، ومـن التأثير التقدمي: صياغة "افْتَعَل" من دَعَا: ادَّعى. والأصل: ادْتَعَى؛ فجـهرت التاء المهموسة تحت تأثير الدالة المجهورة، فتحولت إلى مقابلها المجـهور؛ وهو الدال، تحقيقاً للمشاكلة.

وصياغة "افْتَعَل" من زَجَرَ : ازْدَجَر . والأصل: ازْتجر، فجهرت التـاء تحت تأثير الزاي المجهورة، فتحولت إلى مقابلها المجهور، وهو الدال.

وصياغة "افْتَعَل" من ظَلَمَ : اظلَّم. والأصل: اظْتَلَمَ ، فالظـاء مجـهور مطبق، وقد أثر في التاء فجعله مجهوراً مطبقاً، فصار: اظْطَلَمَ ، ثم فني الصوت الثاني في الأول؛ فصار : اظَّلم. وفي هذا يقول ابن يعيش : "كأن هـؤلاء لمـا

أرادوا تجانس الصوت وتشاكله، قلبوا الحرف الثاني إلى لفظ الأول، وأدغموه فيه؛ لأنه أبلغ في الموافقة"(٣٠).

وقد يكون التأثير من الثاني على الأول، وهو التأثير الرجعي، مثل تحويل فاء "افتَعَل" إذا كانت واواً إلى تاء، نحو : اتَّصل. والأصل اوْتَصَل.

وقد حملهم "طلب التجانس وتقريب الصوت بعضه من بعض على أن أبدلوا من التاءدالاً في غير "افْتَعَل" ، وذلك نحو قولهم: دَوْلَج في تَوْلَج"(٣١).

وقد يتأثر صوت بصوت آخر وبينهما فاصل، مثل تفخيم السين في (سراط) و (مسيطر) ونحوهما، تحت تأثير الطاء المفخمة ليتشاكل الصوتان.

وغاية ما يصل إليه الصوت في تأثره هو أن يفني في مُجاوره، وفناء الصوت في صوت آخر هو ما اصطلح على تسميته علماؤنا القدماء "الإدغام"، ويكون في نوعين من الأصوات.

أولهما: أن يكون الصوتان مثلين، وهذا موضع عناية الصرفي، نحو: قَطَّع = قَطْطَعَ.

وثانيهما : أن يكون الصوتان متقاربين، وله تفصيل شامل عند علماء القراءات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ ﴾ (٣٢)، ﴿ مِن وَاقٍ ﴾ (٣٣)، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾(٣٤) فتتحول النون في هذه الآيات إلى صوت مماثل للصوت التالي لها هكذا: إِيَّشأ، مِوَّاق، فَئِلَّم تَفْعَلُو. ومثله: قوله تعالى: ﴿ أَنْبِئْهُم ﴾(٣٥)، ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾(٣٦) أبدلوا من النون ميماً هكذا: أَمْبِئْهُمْ، فَامْبَجَسَتْ. لأن الميم توافق الباء في المخرج.

وهذا اللون من المماثلة بين الأصوات يهدف إلى التخفيف والاقتصاد في الجهد العضلي، فانقلاب المهموس إلى مجهور لمجاورته لصوت آخر مجهور –

مثلاً – هو في الواقع اقتصاد في عملية الانقباض والانبساط في المزمار الذي يفتح مع المهموس ويضيق مع المجهور ليتذبذب الوتران الصوتيان.[٣٧]

ظاهرة الإتباع

• ويلعب الانسجام الصوتي بين الصوائت أو الحركات دوراً كبيراً في معظم اللغات؛ لأن "هذه الحركات بنوعيها الصرفي والإعرابي ضرورة لا بد منها لوصل الكلام، فهي بذلك تؤدي وظيفة صوتية إلى جانب وظيفتها الدلالية على المستوى الصرفي أو الإعرابي[٣٨] وقد دلت الملاحظة الحديثة على أن "الناطق حين يقتصد في الجهد العضوي يميل دون شعور منه أو تعمد إلى الانسجام بين حركات الكلمات"[٣٩].

ومن أمثلة هذا الانسجام "حركات الإتباع" وهي لون من ألوان المماثلة على مستوى الحركات لضرب من التشاكل، والفرار من نفرة الاختلاف، ولذلك أتبعوا الحركة الحركة تحقيقاً لهذا التشاكل[٤٠]. وقد جاء الإتباع في الكلمة الواحدة كثيراً، وفي الكلمتين المتجاورتين قليلاً، وبعض حالاته "ظواهر لهجية تقع في لهجة هذه القبيلة أو تلك لأسباب صوتية ونطقية معينة"[٤١] ويلحظ بصورة عامة أن لهجات البدو أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر التي تُحَقِّق فيها الأصوات نتيجة التأني والتّؤدة في النطق[٤٢]. ومن أمثلته قولهم: أنا أجُوءُك، اتبعوا الجيم الهمزة، وأنْبُؤُكَ ، أتبعوا الباء الهمزة، والمغيرة بإتباع الميم الغين.[٤٣]

والقياس عند بني تميم فيما كان على وزن "فَعِلَ" الحلقي العين من الأفعال، نحو: شِهِدَ ، أو الأسماء ، نحو : فِخِذ ، أو الصفات، نحو: مِحِك . وما كان على وزن "فَعيل" الحلقي العين أيضاً، نحو سعيد ورغيف – إتباع الفاء العين، فيقولون : شِهِدَ ، وفِخِذَ ، ومِحِكَ ، وسِعِيد، ورِغِيف. ومنه ما حكاه أبو زيد: الجِنَّةُ لمن خاف وِعيد[٤٤]. وهو عند أهل الحجاز مفتوح الأول.

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: "روي عن تميم وأسد أنهم كانوا ينطقون باطراد كلمات مثل: بعير، شَهيد، زَئير، بكسر الحرف الأول، وليس هذا في الحقيقة إلاّ نوعاً من الانسجام بين حركات هذه الكلمات، وعلى هذا لا معنى لما يشترطه بعض اللغويين من أنّ الحرف الثاني في مثل هذه الكلمات يجب أن يكون من حروف الحلق !! ويظهر أن الراوي قد سمع من تميم كلمات تصادف أن كانت مشتملة على حروف الحلق. وليست هذه الظاهرة التميمية إلا انسجاماً بين الحركات يشبه ما تسمعه الآن في بعض اللهجات الحديثة من نطق: كِبير، بِعِيد، نِظِيف. بكسر أولها"[٤٥].

ومن الإتباع أيضاً قول بعض العرب: عُضُد في عَضُد، وعُسُر في عُسْر، والبَحَر في البَحْر، والشَّعَر في الشَّعْر.

- ومنه ما جاء في بعض القراءات القرآنية، وهو كثير، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[٤٦] قرأ ابو الدرداء (مأكول) بفتح الهمزة؛ إتباعاً لحركة الميم[٤٧].

- قوله تعالى: ﴿ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴾[٤٨] قرئ (فلأمّه) بكسر الهمزة إتباعاً لحركة الميم. وذكر الكسائي والفراء أنها لغة هوازن وهذيل[٤٩].

- قوله تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[٥٠] قرأ الحسن وأبو جعفر المدني (بِنُصُبٍ) بضم الصاد إتباعاً لضمة النون. ويظهر أنّ إتباع الضم هنا ظاهرة تشيع في كلام كثير من العرب؛ فقد حكى الأخفش عن عيسى بن عمر أنه قال: ما سُمِع أو ما سَمِعنا "فُعْل" إلاّ وقد سمعنا فيه "فُعُل"[٥١].

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٥٢] قرأ ابن أبي عبلة (فِتَنَة) بفتح التاء تبعاً لفتحة النون.[٥٣]

- وعن أبي حنيفة (طَعَام تُرْزَقَانهُ)[٥٤] بضم النون تبعاً للهاء، وعن الحلواني وابن عامر ﴿ أَتَعِدَانِنِيَ ﴾[٥٥] بفتح النون تبعاً للألف[٥٦].
- وقرأ الحسن ﴿ مُّذَبَّذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾[٥٧] بفتح الميم إتباعاً لحركة الذال، والجمهور بضم الميم[٥٨].
- وقرأ ابن عامر في جميع التنزيل (يا أبَتَ) بفتح التاء تبعاً للباء[٥٩].
- وأتبعوا حركة الميم حركة عين الكلمة في قولهم "مُنْتِن" فقالوا: مِنْتِن. وحكى سيبويه أيضاً: مُنْتُن.[٦٠] ومن ذلك قراءة من قرأ ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[٦١] بكسر الميم إتباعاً لحركة الذال، وقرأ الأعمش ﴿ وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[٦٢].

*****

وسَعْى اللغة ونظامها إلى تحقيق الانسجام الصوتي أو المناسبة الصوتية، وهي أبرز مظاهر التشاكل، مبدأ عام تحققه اللغة وتسعى إليه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ولو أدى ذلك إلى الإخلال بالإعراب[٦٥] قال ابن جني: "وقد دعاهم إيثار قرب الصوت إلى أنْ أخلوا بالإعراب، فقال بعضهم:

"وقال اضربِ الساقين إمِّك هابلُ"[٦٦].

فكسر الميم في "إمِّك" إتباعاً لكسرة الهمزة، وهذا إخلال بإعراب المبتدأ[٦٧]. ونحو هذا قراءة من قرأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[٦٨] بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام، ومن قرا (الحمدُ لُلهِ) بضم اللام إتباعاً لحركة الدال. ووجهه ابن جنّي بأن هذا اللفظ كثر في كلامهم، وشاع استعماله، وهم لما كثر في استعمالهم أشدّ تغييراً، ولذا أتبعوا أحد الصوتين الآخر وشبهوهما بالجزء الواحد، وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصارت : (الحمدُ لُله) كعُنُق وطُنُب. و (الحمدِ لله) كإبل وإطل[٦٩].

ومن ذلك قراءة أبي جعفر﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ ﴾[٧٠]في البقرة والأعراف، بضم التاء إتباعاً لحركة الجيم، ونقل أنها لغة أزد شنوءة[٧١]. وضعف ابن جني والزمخشري هذه القراءة وقالا بأنه لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلاّ في لغة ضعيفة كقوله (الحمدِ لِله)[٧٢]. والحق أنّ ما قالوه "إنما هو التماس الأسباب والمعاذير لضياع علامة الإعراب التي ضحّت اللغة بها من أجل المناسبة الصوتية"[٧٣] وسيأتي لهذا مزيد تفصيل عند الحديث على المشاكلة على المستوى النحوي.

ظاهرة الإمالة

ومن الانسجام الصوتي بين الصوائت أيضاً "الإمالة" ، وهي أن يُنْجى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، والفتحة والكسرة صائتان قصيران، والألف والياء صائتان طويلان. وعليه فالإمالة من باب المماثلة بين العلل والعلل.

والإمالة لغة بني تميم وأسد وقيس وعامة أهل نجد، وأهل الحجاز لا يميلون إلا في مواضع قليلة[٧٤]. وقد تَنَّبه القدماء إلى أنّ الإمالة تحدث لأسباب صوتية، بحيث تؤدي إلى الانسجام بين الأصوات؛ قال سيبويه: "فالألف تُمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: عابِد، وعالِم، ومساجد... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقرّبوها منها"[٧٥] ويقول ابن يعيش: "والغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل، وذلك إذا ولي الألف كسرة قبلها أو بعدها، نحو: عِماد، وعالم... فعلوا ذلك هنا كما فعلوا في الإدغام، وقربوا بعضها من بعض، نحو قولك في مَصْدر: مَزْدر. فقربوا الصاد من صوت الزاي؛ ليتناسب الصوتان ولا يتنافرا"[٧٦].

وما ذكره النحاة في أسباب الإمالة يُمكن إرجاعُهُ بصفةٍ عامة إلى عاملين رئيسيّن: الأصل اليائي، والانسجام بين الأصوات[٧٧]، ولأجل تحقيق الانسجام أمالوا ما أصله ألا يُمال؛ وذلك كأن تكون الألف في كلمة لا تستحق

الإمالة، لكنهم أمالوها لوقوعها قرب ألف أخرى ممالة، ومن ذلك قوله تعـــالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ ﴾(٧٨) فألف (الضحى) لا تجوز إمالتها؛ لأن أصلها الواو، لقولهم: الضّحوة. وإنما أمالوهـــا حين قرنت بـــِ (سجى) و(قلَى) فكلتاهما مما تمال ألفهما؛ لأن الألف فيهما أصلها الياء، قال ابن يعيش: فأرادوا المشاكلة، والمشاكلة بين الألفاظ من مطلوبـــهم"(٧٩). وقوله تعالى ﴿ وَضُحَىٰهَا وَٱلشَّمۡسِ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾(٨٠). قال الزمخشري في المفصل: وقد أميل (وضحاهـــا) وهـــي مـــن الـــواو لتشـــاكل (جلاّهـــا) و (غشّاها)(٨١).

******

ومن المماثلة بين العلل وأنصاف العلل مواضع قلب الألف أو الواو يـــاء بعد الكسرة، وهو ضرب من التأثر التقدمي؛ لتحقيق الانسجام بيـــن الصوتيـــن المتجاورين إرادة التشاكل، ومن ذلك: جَمْعُهُم مفتاح على مفاتيح، ومصباح على مصابيح، والأصل: مفاتِ اح، ومصابِ اح – فقلبت الألف يـــاء تحـــت تـــأثير الكسرة. ومثل ذلك الفعل رضي أصله: رَضِو. فقلبت الواو يـــاء تحـــت تـــأثير الكسرة. ومثله: صيام، ودِيار، وميزان، والأصل: صِوام، ودِوار، ومِوْزان(٨٢).

كما تنقلب الياء واواً إذا جاءت قبل صحيح مسبوقة بضمة، وذلك مماثلة للضمة؛ نحو: مُوْقِن. والأصل : مُيْقِن.

حركة المناسبة

ومن هذا القبيل "حركة المناسبة" وقد لاحظ النحاة أنَّ "موقعـــاً مـــا قـــد يتطلب حركة معينة بحكم النظام، أي بحسب القاعدة، ولكن هذه الحركة المطلوبة قد تتنافر مع ما يجاورها أو على الأقل لا تناسبه، ومن هنا يبدو السياق وقد اتخذ في مكان هذه الحركة حركة أخرى تتناسب مع ما يجاورهـــا"(٨٣) وذلـــك نحـــو قولك: هذا كتابي. فكتابي خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الباء منع مـــن ظهورها حركة المناسبة لأجل الياء. والحق أنَّ هذه الكسرة التي على الباء مـــن قبيل المماثلة بين العلل والعلل، فياء المدّ والكسرة من قبيل واحد، وعلى هذا فـــلا

يمكن تفسير الكسرة على الباء إلا من قبيل المناسبة والانسجام الصوتي بين صوتين.

وقد سجل النحاة تحت حركة المناسبة حركة واحدة هي الكسرة قبل ياء المتكلم، "ولكننا نستطيع أنْ نضيف إلى ذلك عدداً من حركات المناسبة في مواقع أخرى"(٨٤). ومن ذلك :

- بناء الماضي لمناسبة واو الجماعة في نحو : ضَرَبُوا، فهذه الضمة لا يمكن تفسيرها إلا تحت عنوان المناسبة الصوتية.
- تحريك عين المضارع المسند إلى واو الجماعة بالضم في جميع حالاته الإعرابية، نحو: يضربون، ولن يضربوا ولم يضربوا.

وأمثلة أخرى كثيرة. (٨٥)

المحاذاة والمزاوجة

وكما هو بين الصوت والصوت من التأثير يكون بين الكلمة والكلمة إذا جاورتها؛ فلعامل المجاورة تأثير في كلامهم، ومن ذلك ما يسميه اللغويون "المحاذاة" أو "المزاوجة" وهي عندهم: "أن تجعل كلاماً بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً، وإنْ كانا مختلفين"(٨٦) وهو باب واسع كبير؛ قال ابن سيدة: "وهذا واسع كثير في كلام العرب، يحافظون عليه، ويدعون غيره إليه، أعني أنهم قد يؤثرون المحاكاة والمناسبة بين الألفاظ تاركين لطريق القياس؛ كقوله – صلى الله عليه وسلم- : ارْجِعْنَ مأزورات غير مأجورات. وكقولهم: عَيْنَاء حوراء، من العين الحيْر. وإنما هو الحُوْر ، فآثروا قلب الواو ياء في الحور إتباعاً للعين . وكذلك قولهم: إني لآتية بالغدايا والعشايا. جمعوا الغداة على غدايا إتباعاً للعشايا، ولولا ذلك لم يَجُز تكسير فَعْلة على فَعَائل، ولا تلتفتنَّ إلى ما حكاه ابن الأعرابي من أنَّ الغدايا جمع غَدِيَّة، فإنه لم يَقُلْه أحد غيره، إنما الغدايا إتباع كما حكاه جميع أهل اللغة"(٨٧).

ويقول ابن يعيش : "والمشاكلة بين الألفاظ من مطلوبهم، ألا ترى أنهم قالوا: أخَذَهُ ما قدُم وما حدُث. فضموا فيهما، ولو انفرد لم يقولوا إلا "حَدَثَ"

مفتوحاً. ومنه الحديث : ارْجعْنَ مأزورات غير مأجورات. والأصل: موزورات، فقلبوا الواو ألفاً مع سكونها لتشاكل مأجورات، ولو انفرد لم يقلب"(٨٨).

ومنه أيضاً قولهم: هَنَأني الطعام ومَرَأني. فقالوا: مَرَأني ليشاكل هَنَأني، والأصل: أمرأني. ويقولون للرجل إذا قدم من سفرٍ: أَوْبةً وطَوْبةً. أي: أبْتَ إلى عيشٍ طيْبٍ ومآبٍ طيب. والأصل، فقالوه بالواو لمحاذاة أوبة.(٨٩)

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ﴾(٩٠) فاللام التي في (لسلطهمْ) جواب لو، ثم قال: (فلَقاتلوكم)، فهذه اللام حوذيت بتلك اللام، وإلا فالمعنى : لسلّطهم عليكم فقاتلوكم.(٩١)

وقوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾(٩٢). فاللامان في (لأُعذبنّهُ) و (لأذبحنّهُ) لا ما قسم، ثم قال: (لَيَأتينّي) فليس ذا موضع قسم؛ لأنه عذر للهُدهُد، فلم يكن ليُقسم على الهدهد أن يأتي بعُذْرٍ، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه إرادة التناسب الصوتي.(٩٣)

وجَعلوا من المحاذاة الجزاء عن الفعل بمثل لفظه؛ يقول أبو علي الفارسي في تشاكل الألفاظ وتشابهها: "وإذا كانوا قد استجازوا لتشاكل الألفاظ وتشابهها أن يجروا على الثاني طلباً للتشاكل ما لا يصح في المعنى على الحقيقة فأنْ يلزم ذلك ويحافظ عليه فيما يصح في المعنى أجدر وأولى، وذلك نحو قوله:

ألا لا يَجْهلن أحَد علينا فَنَجْهلَ فَوقَ جَهْلِ الجاهلينا(٩٤)

في التنزيل : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) والثاني قصاص وليس بعدوان. وكذلك: (وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها) وقوله: (فَيَسخرون منهم سَخر اللهُ منهم) ونحو ذلك، فأن يلزم التشاكل في اللفظ مع صحة المعنى أولى"(٩٥).

ويقرر بعض الباحثين أنه يمكن إفراد كلمات مثل الغدايا ومأزورات وغيرها خارج مجتمعاتها "بما هي مصطلح خلق خلقاً جديداً خاصاً لا شأن له بالاسم العادي، وإن اشتق من أصوله، فسلامته إنما يحددها مطابقته لصفات واتساقه مع تصانيف... فالغدايا وما على شاكلتها استخدامها بهذه الصورة المغايرة للموروث اللغوي في عمومه فيه ظلال الحديث النبوي دون ذكر الحديث: و " قيّم " بها هذه الخاصية الكوفية، و " قوَّم " لها هذه الخاصية البصرية ومن ثم أجاز المجتمع ما للبيئتين"[٩٦].

ظاهرة الأتباع

وفي بعض الأساليب الواردة عن العرب نجد كلمة زائدة، تماثل في وزنها، وفي ضبط آخرها، وفي أكثر حروفها كلمة أخرى تسبقها، ويسمي اللغويون هذه الكلمة هي ونظائرها "الأتباع"... وقد اضطربت آراؤهم في تعريفه وفي أحكامه "نتيجة اختلافهم في الصفات التي اشترطوا توافرها في الألفاظ التي يمكن إدخالها فيه"[٩٧] وليس من همة هذا البحث معالجة هذه الظاهرة، وإنما يعنينا الصورة التي جاءت عليها، ومن ذلك قولهم: عِفْرِيْت نِفْرِيْت، وشَيْطان لَيْطان، وعطشان نَطْشان، وحَسَن بَسَن، ويوم عكيك أكيك، وعك أكّ[٩٨].

وقد يأتي الإتباع بلفظين بعد المُتْبع، نحو قولهم: حَسَنٌ بَسَنٌ قَسَنٌ.

وظاهر هذه الصوّر أنَّ التَّبع إنما يُزاد لمجرد التلميح أو السخرية أو المدح أو محض التصويت والتنغيم[٩٩]، وهذا مطلب تركيبي يفيد توكيداً اكتسبه من التماثل الصوتي بين التابع والمتبوع[١٠٠].

الفواصل القرآنية

والفواصل القرآنية "حروف متشاكلة في المقاطع، يَقَع بها إفهام المعنى"[١٠١] ويرتكب لها أمور من مخالفة الأصول، قال الزركشي: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيماً؛ ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع"[١٠٢].

وفي الإتقان عن الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي قال: "إعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، ويرتكب لها أمور من مخالفة الأصول. قال: وقد تَتَبَّعْتُ الأحكام التي وَقَعَتْ في آخر الآي مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكماً"[103].

ومراعاة نظم الكلام وسياقه، وإن خالف أصل الوضع اللغوي أمر ضروري؛ ولذا ترى الزمخشري يجعل الذي سبق له الكلام معتمداً حتى كأنَّ غيره مطرح، قال: "ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أنْ يَتَعَاهد في مذاهبه بقاء النَّظم على حسنه والبلاغة على كمالها، وما وَقَع به التحدي سليماً من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل"[104].

ومن الفاصلة قوله تعالى:

- ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[105] ألحقت الألف بالظنون؛ لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف؛ فزيد على النون هنا ألف للتشاكل، ومثله: (فأضلُّونا السَّبيلا) و (أطَعْنا الرسولا)[106].
- قال تعالى : ﴿ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[107] أخَر الفاعل وهو (موسى) للحرص على موسيقى الفاصلة؛ ليشاكل التلفظ به التلفظ بما اكتنفه.
- وحذف المفعول وهو الكاف؛ لمشاكلة رؤوس الآي، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[108] والتقدير: فآواك وفَأغناك.[109]
- وحَتَّم نظام الفاصلة العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال في قوله تعالى: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[110].

- ويتّضح ذلك حين نقارن الآية الكريمة بأخرى تُشْبهها من حيث المعنى، وتختلف عنها في موسيقى الفاصلة، وهي قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾[١١١].

- ويختار رفع الفعل أحياناً لمشاكلة رؤوس الآي ونسق الفواصل كما في قوله:﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[١١٢] قال الفراء: "نويت بالفاء أن يكون نسقاً على ما قبلها، واختير ذلك لأنَّ الآيات بالنون، فلو قيل: فيعتذروا، لم يوافق الآيات، وقد قال الله عز وجل:﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ﴾ [١١٣] بالنصب، وكل صواب"[١١٤] ومعنى هذا أنَّ النظام اللغوي يفضل الجانب الموسيقي متى سَمَحَ التركيب بذلك،ومن أجل هذا قال الفراء في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[١١٥]: "وقد قرأ القراء: "يسري" بإثبات الياء، و"يَسْرِ" بحذفها أحبُّ إلي لمشاكلتها رؤوس الآيات ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها"[١١٦].

المشاكلة على المستوى النَّحْوي

تَتَمثَّلُ ظاهرة المشاكلة على المستوى النحوي فيما يُوسَمُ عند النُحاة بالمجاورة ويذكرون لهذه الظاهرة مثالاً منفرداً كثر ترديده في كتبهم، وهو قول العرب: "هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ" بجر خَرِبٍ لمجاورته لضبِ المجرور، وكان حقها الرفع؛ لأنه صفة لجُحر المرفوع.

وقد عرفت هذه الظاهرة عند النحاة بهذا الاسم؛ لأن سيبويه هو أول من أشار إلى الجوار، واختار هذا المثال، قال: "ومما جرى نعتاً على غير وَجْه

الكلام: هذا جُحْرُ ضبٍ خربٍ. فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم... ولكنَّ بعض العرب يجرُّه"(١١٧).

وذهب كثير من النحاة إلى أنّ الجر بالمجاورة سبب للجرّ ضعيف، لا يصح القياس عليه، وإنما يقتصر على الوارد فيه المسموع عن العرب. وأنكره السيرافي وابن جنّي مطلقاً(١١٨)، وتأولوا المثال على أنه من قبيل النعت السببي، فالأصل: هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ" الجحرُ مِنْه، أو خربٍ جُحْرُه. ثم حذف ما حذف، وبقي ما بقي، واشتدّ الجدل في نوع المحذوف وصحته، وعدم صحته، على الوجه المبين في المطولات(١١٩).

وإذا كان هذا رأي النحاة في الجر بالمجاورة، فلنا أنْ نتَساءل: لم جعلوا له باباً ؟ ولِمَ رتبوا عليه مسائل؟ ثُمَّ أصلَّوه بقولهم : جُحْرُ ضبٍ خربٍ.(١٢٠)

لقد جاء الجر على الجوار في كلام العرب، وخُرِّجت عليه بعض القراءات، ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾(١٢١) قرئ (الأيمنِ) بالجر على الجوار.(١٢٢)
- ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ ﴾(١٢٣) قرئ (خُضْرٍ) بالجر(١٢٤).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(١٢٥) قرئ (المتينِ) بالجر(١٢٦).
- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾(١٢٧) قرئ (ذي) بالجر لمجاورة المجرور(١٢٨).

وقال العكبري في إعراب الجوار: "وليس بممتنعٍ أنْ يقع في القرآن لكثرته، فقد جاء في القرآن والشعر"(١٢٩) وَجَعل من الجوار قوله تعالى:﴿ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾(١٣٠) قال: وليس اليوم بمحيط، وإنما المحيط العذاب. وكذلك

قوله تعالى: ﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[١٣١] واليوم ليس بعاصف، وإنما العاصف الريح.[١٣٢]

– وهذا كله من الجر على الجوار في باب الصفات، ومن باب العطف، قوله تعالى: ﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[١٣٣] قرئ (وأرجلكم) بالجر.[١٣٤]

– ومما جاء في الشعر لغير الضرورة قول الحطيئة :

فإيَّاكم وحيّةَ بطْن وادٍ   هموزِ الناب ليس لكم بِسيٍّ

رُوي بجر (هموز)، وكان حقه النصب؛ لأنه صفة لقوله (حية) المنصوب، ولا سبيل للجر إلا المجاورة.[١٣٥] وقول ذي الرّمّة :

– تُريْك سُنَّةَ وجهٍ غير مقرفةٍ   ملساء ليس بها خال ولا نَدَبُ

بجر (غير) صفة لقوله (سنة) المنصوب، وجر للمجاورة[١٣٦].

– وجاء الجر على الجوار في باب التوكيد في قوله:

يا صاحِ بلِّغْ ذوي الزوجات كلهم   أنْ ليس وَصْل إذا انحلتْ عُرى الذَّنبِ

بجر (كلهم) على المجاورة؛ لأنه توكيد لذوي المنصوبة لا للزوجات، وإلا لقال: كُلهنَّ.[١٣٧]

لقد بَذَل النحويون والمعربون جهداً كبيراً في تأويل هذه المسائل، وصبِّها في قوالب توافق مقاييسهم، وأسرفوا في ذلك متأثرين بنظرية العامل التي تقوم أساساً على الاهتمام بالعلامة الإعرابية، ومع إيماننا بأن نظرية العامل لا تزالُ أساساً صالحاً لتحليل الظواهر النحوية "ولا تزال مستعملة في الدرس النحوي الحديث الذي يتناول لغة تخضع لظواهر إعرابية، كما هي الحال في اللغة الألمانية[١٣٨] إلا أنَّها وحدها لا تعين على تحديد "المعنى النحوي"، وإنما يتوقف بيان المعنى النحوي – كما بينته الدراسة الحديثة– على مجموعة من القرائن المعنوية واللفظية التي تتضافر جميعاً من أجل كشف اللبس عن المعنى، ولقد

أشار نحاتنا القدماء إلى القرائن النحوية، ولكنهم لم يجعلوها أساساً للتناول النحوي، بل اعتمدوا عليها في مواضع محددة[١٣٩]، وقد فصل القول في هذه القرائن د. تمام حسان في كتابه القيم "اللغة العربية معناها ومبناها" فصنفها إلى لفظية ومعنوية، وشرحها وبين دور كل قرينة في الجملة، وما يعنينا هُنا رأيه في قرينة العلامة الإعرابية، وهي قرينة لفظية، يقول: "وإذا كان العامل قاصراً عن تفسير الظواهر النحوية، والعلاقات السياقية جميعها، فإن فكرة القرائن توزع اهتمامها بالقسطاس بين قرائن التعليق النحوي معنويها ولفظيها، ولا تعطي للعلامة الإعرابية منها أكثر مما تعطيه لأية قرينةٍ أخرى من الاهتمام. فالقرائن كلها مسؤولة عن أمن اللبس وعن وضوح المعنى، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما، وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى النحوي وتنتجه"[١٤٠].

وإذا أمن اللبس في المعنى النحوي "فإن بعض القرائن قد يُغني عن بعض"[١٤١] لأن اللغة العربية وكل لغة "تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية، فإذا كان من الممكن الوصول إلى المعنى بلا لبس مع عدم توفر إحدى القرائن اللفظية الدالة على هذا المعنى، فإن العرب كانت تترخص أحياناً في هذه القرينة اللفظية الإضافية، لأن أمن اللبس يتحقق بوجودها وبعدمه"[١٤٢] وذكر أمثلة لترخص العرب في العلامة الإعرابية، وغيرها من القرائن النحوية.[١٤٣]

وفي إدراك نظرية القرائن تفسير لكثير مما رفَضه النحاة، ومن ذلك "مسألة الضب" كما يطيب لي أن أسميها، فكم أبدأ النحاة وأعادوا فيها، ألا ترى أنَّ الخرب هو الجُحْر لا الضبُّ ؛ لأنَّ الضبَّ لا يوصف بأنه خرب. فالمعنى واضح وأمنُ اللبس متحقق، وإذا أمن اللبس فإن القرائن يغني بعضها عن بعض، وعليه فقد "أغنت قرينة التبعية وهي معنوية، عن قرينة المطابقة في العلامة

الإعرابية وهي لفظية"[١٤٤] والداعي إلى هذا الإغناء "مطلب تركيبي لا يتحقق مع وجود العلامة الإعرابية"[١٤٥] وهذا المطلب هو المناسبة الصوتية أو الموسيقية بين المتجاورين لضرب من التشاكل. وفي تناول علمائنا القدماء لهذه المسألة ومضات مضيئة، ومن ذلك قول الزجاج: "فتركوا الرفع في خرب وجروه حرصاً على المطابقة"[١٤٦] وقول ابن هشام: "أما قولهم هذا جُحْر ضب خربٍ، فأكثر العرب ترفع خرباً، ولا إشكال فيه، ومنهم من يخفضه، كما قال الشاعر:

قَدْ يُؤخذ الجار بجُرْمِ الجارِ

ومرادهم أنْ يناسبوا بين المتجاورين في اللفظ، وإنْ كان المعنى على خلاف"[١٤٧].

وفي هدى هذا تتحرج قراءة من قرأ (الحمدِ لله) بكَسْرِ الدال إتباعاً للام؛ من أجل المناسبة الصوتية بين المتجاورين، ومثله باقي القراءات السابقة.

وليس ذلك بمخرج عما ذكره النحاة من أن التابع يتبع متبوعه في إعرابه؛ قال ابن هشام: "وعلى هذا الوجه ففي خرب ضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال الآخر بحركة المجاورة، وليس ذلك بمخرج عما ذكرناه من أنه تابع لمنعوته في الإعراب، كما أنا نقول: إنَّ المبتدأ والخبر مرفوعان، ولا يمنع من ذلك قراءة الحسن البصري (الحمدِ لِلهِ) بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام"[١٤٨].

ويقول بعض المحدثين: "اللغة لا تترخصُ في قرائن الجملة جزافاً، بل يكون ذلك في موقعيات خاصة، وبحيثُ لا يمثل الترخص قاعدة عامة يمكن النسج على منوالها أو على حدّ تعبير النحاة- لا يقاس عليه"[١٤٩].

ويلحظ أن تحقيق المناسبة الصوتية في السياق، وهي أبرز مظاهر التشاكل، أكثر ما يكون بين المتجاورين، لما للتجاور من أثر في كلام العرب[١٥٠]، ألا ترى أنهم اختاروا إتباع المستثنى للمستثنى منه (بدل بعض من كل) في نحو قولهم :

ما جاءني أحد إلاّ زيْدٌ

ما رأيت أحداً إلا زيداً

ما مررت بأحدٍ إلا بزيدٍ

وإنما كان البدل هو الاختيار؛ لأن فيه "فضل مشاكلة ما بعد إلا لما قبلها"(١٥١). ويختار النصب دون الإتباع على البدلية إذا طال الفصل، نحو: ما جاءني أحد حين كُنْتُ جالساً إلا زيداً. وتوجيه ذلك أن اختيار الإتباع "ليتشاكل المستثنى والمستثنى منه، ومع طول الفصل لا يُتبين ذلك"(١٥٢)

وفي باب الحكاية بـ " مَنْ " عن الاسم العلم يؤتي بالاسم بعد " مَنْ " على إعرابه الذي ورد به في الجملة المستفهم عنه فيها؛ فأهل الحجاز يقولون – إذا قال الرجل: رأيت زيداً – : مَنْ زيداً ؟ وإذا قال : مررت بزيدٍ ، قالوا، مَنْ زيدٍ؟ وإذا قال: هذا زيد، قالوا : مَنْ زيدٌ ؟

وأما بنو تميم فيقولون في جميع ذلك : مَنْ زَيْدٌ؟ (١٥٣)

ولا عذر في ذلك إلا مشاكلة اللفظ للفظ ؛ لتحقيق المناسبة الصوتية.

ولأجل هذه المشاكلة قرئ ﴿ سَلَٰسِلاْ وَأَغۡلَٰلًا ﴿٤﴾ ﴾(١٥٤) بصرف (سلاسلاً) ليشاكل اللفظ به اللفظ الذي بعده. وكما صرف مالاً ينصرف للمشاكلة؛ منع ما يصرف للمشاكلة نحو قراءة من قرأ : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (١٥٥) بمنع صرف (عباقريّ) المصروف ؛ ليشاكل (رفارف) غير المتصرف.

وفي باب الاشتغال : إذا وقَع المُشْتغَلَ عنه بعد عاطف تقدمته جملة فعلية، جاز نصبه ورفعه، نحو قولك: خَرَجَ الزائر والقادم استقبلْتُهُ . واختاروا النصب (بتقدير فعل من جنس المذكور)؛ لأن المتكلم به عاطف جملة اسمية على جملة فعلية "وتشاكل الجملتين المعطوفة إحداهما على الأخرى أحسن من تخالفهما"(١٥٧) وانظر إلى المشاكلة ما أرقاها في التنزيل :

- ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴿١٩﴾ ﴾[158].

- قال تعالى : ﴿ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[159].

- قال تعالى:﴿ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾[160].

لم يقرأ بالرفع في : الأرض، ولوطاً، والأرض، وقرئ بالرفع والنصب في قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾[161]

قرأ الجمهور (والسماء) بالنصب على الاشتغال، راعوا مشاكلة الجملة الفعلية (يسجدان). وقرأ أبو السمال: (والسماء) بالرفع على الابتداء؛ فراعى مشاكلة الجملة الابتدائية (والنجم والشجرُ يَسْجُدان)[162]. فإذا عرفت هذا، فاعلم أنَّ ما قَصَصناهُ عليك من سننهم، يشمّون رائحته فيراعونه في كلامهم.

المشاكلة على المستوى الدلالي

سَبَقَ أنْ ذكرنا أن هذا الجانب من المشاكلة دَرَسَهُ د. محمد بدري عبد الجليل في كتابه: "المجاز وأثره في الدرس اللغوي" وهو أطروحة دكتوراة، واعترافاً بالجهد الخصب المتبصر الذي بذله الأخ الكريم في تجلية هذه الظاهرة على المستوى الدلالي- رأيت أن أعرض – هنا – ما انتهى إليه، ثم أضيف إلى ما ذكر شواهد من التنزيل تزيد الإضاءة حول هذه الظاهرة ؛ فمِما لا شك فيه أنّ للأسلوب القرآني سرَّهُ وإيحاءه وصفاءه.

لقد بين الباحث الكريم كيف أن القرآن الكريم شاكل الأسلوب البشري، فكان "هذا النداء للكائنات على اختلافها، لم نجد آية بها نداء من الله لنا إلا بيا... أما نداؤنا نحن لله سبحانه وتعالى فينبغي أن يكون غير ذلك، ينبغي أن يكون مشاكلاً للمستوى الإلهي- إن صحَّ التعبير- لأن ما ورد خطاباً لنا كان مشاكلاً لأسلوبنا، وبهذا علمنا القرآن الكريم، فلم ترد آية واحدة خطاباً من البشر لله سبحانه وتعالى- بها أداة نداء مصرحاً بها، وإنما كان النداء منوياً"(١٦٣) قال: "وإن شئت فانظر إلى نداء نوح لابنه في قوله : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾(١٦٤). وانظر إلى نداء نوح لربه في قوله: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴿٤٥﴾ ﴾(١٦٥).

أما الجانب اللغوي فمغاير تماماً لاختلاف الطبيعتين، وفيه أجاز استخدام تعبيرات وردت على سبيل المشاكلة.(١٦٦)

والحقيقة التي نريد أن نؤكدها –هنا– هي أنَّ النظر في المشاكلة على المستوى الدلالي يقتضي النظر فيما أطلق عليه المحدثون "سياق الحال" أو المقام أو ما يسمى بالإنجليزية (Context of Situation)، وهو مجموع الظروف التي تحيط بالكلام.(١٦٧) ومن شواهد ذلك ما ذكره الأصمعي، قال: قرأت يوماً هذه الآية ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١٦٨) وإلى جنبي أعرابي، فقلت: (والله غفور رحيم) سهواً، فقال الأعرابي: كلامُ مَنْ هذا؟ قلت : كلام الله. قال: ليس هذا بكلام الله أعدْ، فأعدْتُ، وتنبهت فقلت: (والله عزيز حكيم) فقال: نعم ، هذا كلام الله. فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عَزَّ فحكم فَقَطع، ولو غفر ورحم لما قَطَع.(١٦٩)

لقد عرف الأعرابي بحسه اللغوي أن ما ذكره الأصمعي أخيراً موافق للمقام ومشاكل له؛ مما يثبت أنَّ ظاهرة المشاكلة "مراعاة الموقف أيّاً ما كان كلاماً أم مذهباً أم لفظاً"(١٧٠)

ومن ذلك ائتلاف الفواصل القرآنية مع ما يدل عليه الكلام، وفي ذلك يقول الزركشي: "اعلم أنَّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بُد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج الكلام عن بعض. وفواصل القرآن لا تخرج عن ذلك؛ لكن منه ما يظهر، ومنه ما يُستخرج بالتأمل للبيب"(١٧١) ثم بين أنها منحصرة في التمكين والتوضيح والإيغال والتصدير. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾(١٧٢).

فإن الكلام لو اقتصر على قوله : (وكفى الله المؤمنين القتال) لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم، وأنَّ ذلك أمر اتفاقي، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين ويزيدهم يقيناً وإيماناً على أنه الغالب، وأنَّ حزبه كذلك، وأن تلك الريح ليست ألاَّ اتفاقاً، بل هي من إرساله على أعدائه كعادته، وأنه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً، وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر، وتارة بالريح كيوم الأحزاب.(١٧٣)

وهذا الضرب من المشاكلة من باب مشاكلة المعنى للمعنى، ومن مشاكلة اللفظ للمعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾(١٧٤). قال الزركشي: ولم يقل من (طين) كما أخبر سبحانه في غير موضع: ﴿ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾(١٧٥) إنما عدل عن الطين إلى التراب لمعنى لطيف، وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفهما، لما كان المقصود مقابلة من ادَّعى في المسيح الإلهية، أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر، ولما أراد سبحانه الامتنان على بني إسرائيل أخبرهم أنه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير، تعظيماً لأمر ما يخلق بإذنه؛ إذ كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة(١٧٦).

خاتمة

وأستطيع أن أقول في النهاية: إن هذا البحث حاول أن يرسم صورة لظاهرة المشاكلة في اللغة العربية، وقد سلك لهذه الغاية سبلا متعددة، تمثلت في معالجة هذه الظاهرة على المستوى الصوتي والنحوي والدلالي. أما على المستوى الصوتي فقد بين البحث أن الأصوات حين تتجاور في المتصل من الكلام قد يؤثر بعضها في بعض، والأصوات في تأثرها إنما تهدف إلى تحقيق الانسجام الصوتي بينها، وسعي اللغة ونظامها إلى تحقيق هذا الانسجام هو أبرز مظاهر التشاكل، وفي ظل هذا الانسجام استطاع البحث أن يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية، كظاهرة الإبدال المطرد في صيغة " افتعل " ، وظاهر الإدغام، والإمالة، وحركات الإتباع، والإعلال والإبدال.

وكما هو بين الصوت والصوت من التأثير يكون أيضا بين الكلمة والكلمة؛ فلعامل التجاور تأثير في كلام العرب، ولهذا تراهم يؤثرون المناسبة بين المتجاورين، وإن خالفوا في ذلك أصل الوضع اللغوي، فتحصيل التشاكل بين الألفاظ من مطلوبهم.

أما على المستوى النحوي فقد عرض البحث لظاهرة المجاورة، وقدم تفسيرا لها مؤسسا على ضوء الدراسات الحديثة وملاحظات علمائنا القدماء، واستطاع أن يوجه كثيرا من المسائل اللغوية والقراءات القرآنية التي بذل المعربون جهدا كبيرا في تأويلها.

أما على المستوى الدلالي فقد عرض شواهد من التنزيل تتحقق فيها مشاكلة المعنى للمعنى، ومشاكلة اللفظ للمعنى. ويمكن القول – بعد ذلك– بأن ظاهرة المشاكلة ظاهرة واسعة، يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور اللغوية، ويرتكب لها من مخالفة الأصول اللغوية لغاية يتغياها المتكلم، وليس أدل على ذلك من نظام الفاصلة القرآنية التي يرتكب لها من مخالفة الأصول إراغة لناحية بيانية، مؤثرة في اعتدال نسق الكلام. والمشاكلة في نطاقها الأكبر تحقق الانسجام الصوتي في السياق، وفي نطاقها الأصغر تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق النطق.

الهوامـــــــش

١ - ١/٣٧٦ - ٣٩٦

٢ - الزركشي : البرهان في علوم القرآن.

٣ - المجاز وأثره في الدرس اللغوي ص ٩ .

٤ - لسان العرب : (شكل).

٥ - سورة الإسراء : الآية ٨٤ .

٦ - أنظر : الفراء : معاني القرآن ٢/١٣٠ ، أبو حيـــان: البحـــر المحيـــط ٦/٦٨، ٦/٧٥ .

٧ - سورة الإسراء : الآية ٨٤ .

٨ - الزمخشري : الكشاف ١/١٨٩ .

٩ - أبو حيان : البحر المحيط ٦/٧٥ .

١٠ - القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص ٣٦٠ .

١١ - السابق نفسه.

١٢ - سورة المائدة : الآية ١١٦ .

١٣ - سورة التوبة : الآية ٦٧ .

١٤ - تفسير أبي السعود : ٢/٤٢٤ .

١٥ - سورة البقرة : الآية ١٣٨ .

١٦ - سورة البقرة : الآية ١٣٦ .

١٧ - القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص ٣٦٠ .

١٨ - إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ١/٣٧٦-٣٩٦ ، والبرهـــان فـــي علوم القرآن للزركشي ٣/٣٧٧ - ٣٨٢ .

١٩ - د. أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ٣٤٧ .

٢٠ – د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٢٦ .

٢١ – د. عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية ص ١٣٩ .

٢٢ – د. تمّام حسّان : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٦٢ .

٢٣ – صوت مقارب له في الجهر أو الهمس أو الاحتكاك أو الانفجار أو في صفة الأنفية أو الفموية.

٢٤ – أنظر : سيبويه ٢٤٦/٢ ، ٤٢٧/٢ ، الخصائص ١٣٩/٢ وشرح المفصل لابن يعيش : ٥٣/٩ ، ٥٨/٩ ، ٦٤/٩ .

٢٥ – انظر : د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٧٨ ، د. أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٤ .

٢٦ – د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٧٠ .

٢٧ – د. إبراهيم أنيس : في الأصوات اللغوية ص ١٧٨ .

٢٨ – د. عبد الجليل : المجاز وأثره في الدرس اللغوي ص ٢١٤ ، نقلاً عن ابن كمال باشا : الفلاح شرح مراح الأرواح ص ١١.

٢٩ – د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٨٠، وانظر : ابن جني؛ الخصائص ١٣٩/٢-١٤٥ .

٣٠ – ابن يعيش : شرح المفصل ٤٧/١٠ .

٣١ – السابق ٤٩/١٠ وفي اللسان (تلج) : التَّوْلَجُ : كِناسُ الظبي ، فوْعل عند كراع، وتاؤه أصل عنده.

٣٢ – سورة الأنعام : الآية ١٣٣ .

٣٣ – سورة الرعد : الآية ٣٤ .

٣٤ – سورة البقرة : الآية ٢٤ .

٣٥ – سورة البقرة : الآية ٣٣ .

٣٦ – سورة الأعراف : الآية ١٦٠ .

٣٧ – د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٢٥٢ .

٣٨ – د. صاحب أبو جناح : الظواهر اللغوية في قـراءة الحسـن البصـري ص٤٨.
٣٩ – د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٩٧ .
٤٠ – د. محمد حماسة : العلامة الإعرابية ص ٣٤٥ .
٤١ – د. صاحب أبو جناح : الظواهر اللغوية ص ١١٩ .
٤٢ – د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٩٧ .
٤٣ – ابن جني : الخصائص ص ١٤٣ .
٤٤ – السابق نفسه .
٤٥ – د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٩٨ .
٤٦ – سورة الفيل : الآية ٥ .
٤٧ – أبو حيان : البحر المحيط ٥١٢/٨ .
٤٨ – سورة النساء : الآية ١١ .
٤٩ – أبو حيان : البحر المحيط ١٨٥/٣ .
٥٠ – سورة ص : الآية ٤١ .
٥١ – د. صاحب أبو جناح : الظواهر اللغوية ص ١٢٢ نقلاً عن المحتسـب ١٧٠/٢.
٥٢ – سورة التغابن : الآية ١٥ .
٥٣ – الزجاج : إعراب القرآن ٣٩٣/١ .
٥٤ – السابق ٣٩٢/١ والآية في سورة يوسف : ٣٧ .
٥٥ – سورة الأحقاف : الآية ١٧ .
٥٦ – السابق ٣٩٢/١ .
٥٧ – سورة النساء : الآية ١٤٣ .
٥٨ – أبو حيان : البحر المحيط ٣٧٨/٣ .
٥٩ – الزجاج : إعراب القرآن ٣٩٢/١ .

٦٠ - ابن جني : الخصائص ٢/١٤٣ .

٦١ - سورة الأنفال : الآية ٩ .

٦٢ - أبو حيان : البحر المحيط ٤/٤٦٥ .

٦٣ - سورة مريم : الآية ٢٣ .

٦٤ - أبو حيان : البحر المحيط ٦/١٨٣ .

٦٥ - د. محمد حماسة : العلامة الإعرابية ٣٤٥ .

٦٦ - ابن جني : الخصائص ٢/١٤٥ . والإم لغة في الأم. ومن الناس من يرويه : اضرب الساقين أمك، بضم النون في السابقين إتباعاً لهمزة أمك. الخصائص ٢/١٤٥ - الهامش .

٦٧ - السابق ٢/١٤٥ - الهامش.

٦٨ - سورة الفاتحة : الآية ٣ .

٦٩ - ابن جني : المحتسب ١/٣٧ .

٧٠ - سورة البقرة : الآية ٣٤ ، الأعراف : الآية ١١ .

٧١ - أبو حيان : البحر ١/١٥٢ .

٧٢ - ابن جني : المحتسب ١/٧١ ، ١/٢٤٠ ، الزمخشري : الكشاف ١/٣٧٣.

٧٣ - د. محمد حماسة : العلامة الإعرابية ٣٤٦ .

٧٤ - ابن يعيش : شرح المفصل ٩/٥٤ ، د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص٦٠ .

٧٥ - وانظر الخصائص ٢/١٤١ .

٧٦ - ابن يعيش : شرح المفصل ٩/٥٤ ، وانظر : ٩/٥٨ ، ٦٤ .

٧٧ - د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٦٨ .

٧٨ - سورة الضحى : الآيات ١ - ٣ .

٧٩ - ابن يعيش : شرح المفصل ٩/٦٤ .

٨٠ – سورة الشمس : الآيتان ١ ، ٢ .

٨١ – الزمخشري : المفصل ص ٣٣٧ .

٨٢ – انظر : د. أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ٣٢٩ .

٨٣ – د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٣ .

٨٤ – السابق نفسه .

٨٥ – السابق نفسه.

٨٦ – السيوطي : المزهر ٣٣٩/١ ، وانظر : ابن فارس: فقه اللغة ص ١٥.

٨٧ – اللسان : (رش د).

٨٨ – ابن يعيش : شرح المفصل ٦٤/٩ .

٨٩ – السيوطي : المزهر ٣٤٠/١ .

٩٠ – سورة النساء : الآية ٩٠ .

٩١ – الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٣٩١/٣ ، وانظر : أبو حيان: البحر المحيط ٣١٨/٣، السيوطي: المزهر ٣٣٩/١.

٩٢ – سورة النمل : الآية ٢١ .

٩٣ – الزركشي : البرهان ٣٩١/٣ .

٩٤ – البيت لعمرو بن كلثوم . وقوله : فَنَجْهل فوق .. أي : إنما نكافئهم على جهلهم.

٩٥ – د. حامد شعبان: أسرار النظام الغوي ١٩٥ ، نقلاً عن الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارس ٢٣٦/١ – ٢٣٧ .

٩٦ – د. عبد الجليل : المجاز وأثره في الدرس اللغوي ٢٣٨ .

٩٧ – د. حسين نصار : دراسات لغوية ٤٨ .

٩٨ – يوم عكيك أكيك ، يوم عك أك : إذا كان شديد الحرارة.

٩٩ – عباس حسن : النحو الوافي ٤٥٣/٣ .

١٠٠ – د. حسين نصار : دراسات لغوية ص ٦٤ .

١٠١ – الزركشي : البرهان ١/٥٣ .

١٠٢ – السابق ١/٦٠ .

١٠٣ – السيوطي : الاتقان ٣/٩٩ .

١٠٤ – الزمخشري : الكشاف ١/١٨٩ .

١٠٥ – سورة الأحزاب : الآية ١٠ .

١٠٦ – الزركشي : البرهان ١/٦١ .

١٠٧ – سورة طه : الآيات ٦٦ – ٦٨ .

١٠٨ – سورة الضحى : الآيات ٦ – ٨ .

١٠٩ – الفراء : معاني القرآن ٣/٢٧٤ .

١١٠ – سورة البقرة : الآية ٨٧ .

١١١ – سورة الأحزاب : الآية ٢٦ . وانظر :

د. إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ١٧٤ ، ٢٤٥ ، الزركشي: البرهان ١/٦٧، أبو حيان : البحر المحيط ١/٣٠٠ .

١١٢ – سورة المرسلات : الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

١١٣ – سورة فاطر : الآية ٣٦ .

١١٤ – الفراء : معاني القرآن ٣/٢٢٦ .

١١٥ – سورة الفجر : الآية ٤ .

١١٦ – السابق ٣/٢٦٠ وانظر : د. محمد حماسة : العلامة الإعرابية ٣٦٨.

١١٧ – سيبويه : الكتاب ١/٢١٧ ، وانظر ١/٣٤ .

١١٨ – السيوطي : همع الهوامع ٢/٥٥ .

١١٩ – عباس حسن : النحو الوافي ٢/٣٢٤ ، السيوطي: همع الهوامع ٢/٥٥.

١٢٠ – العكبري إملاء ما من به الرحمن ١/٢٠٩ .

١٢١ – سورة طه : الآية ٨٠ .

١٢٢ – الزمخشري: الكشاف٢/٥٤٧. وانظر: أبو حيان: البحر المحيط٦/٢٦٥.

١٢٣ – سورة الإنسان : الآية ٢١ .

١٢٤ – أبو حيان : البحر المحيط ٨/٤٠٠ .

١٢٥ – سورة الذاريات : الآية ٥٨ .

١٢٦ – السابق : ٨/٤٣ .

١٢٧ – سورة الرحمن : الآية ٢٧ .

١٢٨ – أبو حيان : البحر ٩/١٩٢ .

١٢٩ – العكبري : إملاء ما من به الرحمن ١/٢٠٩ .

١٣٠ – سورة هود : الآية ٨٤ .

١٣١ – سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

١٣٢ – العكبري : إملاء ما من به الرحمن ١/٢٠٩ ، وانظــــر : الأنبــاري : البيان ٢/٥٦ ، الفراء : معاني القرآن ٢/٧٣ أبو حيان : البحر ٢/٥٤٧، ٥/٤١٥.

١٣٣ – سورة المائدة : الآية ٦ .

١٣٤ – انظر : أبو حيان: البحر ٣/٤٣٧ ، الأنباري : البيان ١/٢٨٥ العكبري: إملاء ما من به الرحمن ١/٢٠٩ .

١٣٥ – الهموز من الهمْز وهو العض ، والسيّ : المثل. يقــول : إنـــه يحمـــي ناحيته ويتقى كما تتقى الحية الحامية لبطن الوادي. انظر فيه : ابن جني الخصائص ٣/٢٢٠ ، الفراء ، معاني القرآن ٢/٧٤ ، البغدادي: خزانـــة الأدب ٢/٣٢١ .

١٣٦ – السُنَّة : الصورة المقرفة : التي دنت من الهجنة، وهو عيب، والنـــدب: الأثر من الجراح . انظر : البغدادي: خزانـــة الأدب ٢/٣٢٤، الفـــراء: معاني القرآن ٢/٧٤.

١٣٧ – البيت لأبي الغريب ، وهو أعرابـــي، لـــه شـــعر قليـــل، أدرك دولـــة العباسيين، أنظر : الفراء : معاني القرآن ٧٤/٢ ، البغـــدادي: خزانـــة الأدب ٣٢٥/٢ وابن هشام : مغني اللبيب ٦٨٣.

١٣٨ – د. عبده الراجحي : فقه اللغة ١٥٨ .

١٣٩ – د. محمد حماسة : العلامة الإعرابية ٢٨٥ .

١٤٠ – د. تمام حسان .: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٢ .

١٤١ ، السابق ٢٣٣ .

١٤٢ – السابق ٢٣٣ .

١٤٣ – السابق ٢٣٣ وانظر د. محمد حماسة : العلامة الإعرابية ٣٢٥-٣٣٨.

١٤٤ – د. تمام حسان : اللغة العربية ٢٣٤ .

١٤٥ – العلامة الإعرابية ٣٤٠ .

١٤٦ – الزجاج : إعراب القرآن ٣٨٠/١ .

١٤٧ – ابن هشام : قطر الندى ٣٢٣ .

١٤٨ – السابق نفسه.

١٤٩ – د. محمد حماسة : العلامة الإعرابية ٣٢٤ .

١٥٠ – انظر : العكبري : املاء ما من به الرحمن ٢٠٩/١ .

١٥١ – ابن يعيش : شرح المفصل ٨٢/٢ . وانظر : الأزهري شرح التصريـح ٣٤٩/١ .

١٥٢ – حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٤٤/٢ .

١٥٣ – انظر : سيبويه ٤٠٣/١ ، المقتضب ٣٠٩/٢ وإعراب مَنْ زيداً؟ مـــن : مبتدأ، زيداً : منصوب على الحكاية وهو يسد مسد الخبر، والتقدير: مَـن الذي قلت فيه: رأيت زيداً. ومثله: مَنْ زيدٍ ؟

١٥٤ – سورة الإنسان : الآية ٤ .

١٥٥ – سورة الرحمن : الآية ٧٦ .

١٥٦ – أبو حيان : البحر ٨ /١٩٩ .

١٥٧ – الأزهري : شرح التصريح ٣٠١/١ ، وانظر : ابن هشام: مغني اللبيب ٤٨٥/٢ .

١٥٨ – سورة الحجر : الآية ١٨ – ١٩ .

١٥٩ – سورة الأنبياء : الآية ٧٣ – ٨٤ .

١٦٠ – سورة الرحمن : الآية ٩ ، ١٠ .

١٦١ – سورة الرحمن : الآية ٦ ، ٧ .

١٦٢ – أبو حيان : البحر المحيط ١٨٩/٨ .

١٦٣ – د. عبد الجليل : المجاز وأثره ٢١٨ ، ٣٢٥ .

١٦٤ – سورة هود : الآية ٤٢ .

١٦٥ – سورة هود : ٤٥ .

١٦٦ – السابق ٢٤٧ .

١٦٧ – أنظر : د. تمام: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٧ وما بعده.

١٦٨ – سورة المائدة : الآية ٣٨ .

١٦٩ – الصابوني : صفوة التفاسير ٢١/٣ .

١٧٠ – د. عبد الجليل : المجاز وأثره ٢١٣ .

١٧١ – الزركشي : البرهان ٧٨/١ وانظر ما بعده .

١٧٢ – سورة الأحزاب : الآية ٢٥ .

١٧٣ – السابق ٧٩/١ .

١٧٤ – سورة آل عمران : الآية ٥٩ .

١٧٥ – سورة ص : الآية ٧١ .

١٧٦ – السابق ٣ /٣٧٨ .

المصادر والمراجع

١ - الأزهري (الشيخ خالد بن عبدالله الأزهري) شـــرح التصريـــح علـــى التوضيح، عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.

٢ - الأنباري (ابو البركات بن الأنباري) البيان في غريب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م.

٣ - أنيس (الدكتور إبراهيم أنيس) الأصـــوات اللغويـــة، مكتبـــة الأنجلـــو المصرية، ط٥، ١٩٧٩م.

٤ - ــــــ في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، الطبعـــة الخامسة، ١٩٧٣.

٥ - ــــــ من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية بالقـــاهرة، الطبعـــة السادسة ١٩٧٨م .

٦ - البغدادي (الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي) خزانة الأدب ولب لبـــاب لسان العرب، دار صادر للنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الأولى.

٧ - ابن جني (ابو الفتح عثمان بن جني) الخصائص، حققـــه محمـــد علـــي النجار، عالم الكتب، ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٨ - ــــــ المحتسب، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليـــه، المجلـــس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ .

٩ - أبو جناح (الدكتور صاحب أبو جناح) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعـــة البصـــرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٠ - حسن (الأستاذ عباس حسن) النحو الوافي، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٧١م.

١١ - حسان (الدكتور تمام حسان) اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة العامـة للكتاب بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٩.

١٢ - حماسة (الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف) العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٨٤م.

١٣ - أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، مطابع النصر الحديثة بالرياض.١

١٤ - راجحي (الدكتور عبده الراجحي) فقه اللغة فـي الكتـب العربيـة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

١٥ - الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري) إعراب القرآن المنسوب إليـه، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريـة القاهرة، ١٩٦٣.

١٦ - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي) البرهان فـي علـوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ ١٩٧٢م.

١٧ - الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري) الكشـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الدار العالميـة للطباعـة والنشـر بيروت.

١٨ - ـــــ المفصل في علم العربية، دار الجيل ببيروت، الطبعة الثانية.

١٩ - أبو السعود ، تفسير العلامة أبي السعود، إدارة طباعة الجمعية العلميـة الأزهرية المصرية بالقاهرة، ١٣٤٧هـ ، ١٩٢٨م.

٢٠ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن قنبر) كتاب سـيبويه، المطبعـة الأميريـة ببولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٦هـ.

٢١ - السيوطي (جلال الدين السيوطي) الاتقان في علوم القرآن، دار الفكـر للطباعة والنشر.

٢٢ - ـــــــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر.
٢٣ - ـــــــ همع الهوامع شرح جمع الجوامع (عني بتصحيحه محمد بدر العناني- دار المعرفة).
٢٤ - شعبان (الدكتور حامد محمد أمين شعبان) أسرار النظام اللغوي عند الرافعي، عالم الكتب بالقاهرة، ١٩٧٩م.
٢٥ - الصابوني (محمد علي الصابوني) صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
٢٦ - الصبّان (محمد بن علي الصبان) حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٢٧ - العكبري (أبو البقاء عبدالله بن الحسين) إملاء ما من به الرحمن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م.
٢٨ - عبد الجليل (الدكتور محمد بدري عبد الجليل) المجاز وأثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
٢٩ - الفراء (ابو زكريا يحيى بن زياد) معاني القرآن، تحقيق الإسناد محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة.
٣٠ - القزويني (الخطيب القزويني) الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٣١ - المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد) المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
٣٢ - مختار (الدكتور أحمد مختار عمر) دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨١م .
٣٣ - ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم) لسان العرب، دار المعارف بالقاهرة.

٣٤ - نصار (الدكتور حسين نصار) دراسات لغوية، دار الرائد العربي ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٥ - ابن هشام (أبو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام) قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣٦ - ـــــــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الكتاب العربي ببيروت.

٣٧ - ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي) شرح المفصل ، عالم الكتب ببيروت.

* نشرت هذه الدراسة في مجلة كلية الآداب (جامعة الإمارات العربية المتحدة)، ع (٣)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الدراسة الثانية

التنغيـــيم ودوره في التحليل اللغوي

مقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية مكونة من مجموعة من الرموز الصوتية، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، على حد قول ابن جني[١]، وتكتسب معناها عن طريق التداول بين أفراد المجتمع. ويتناول علم الأصوات دراسة النظام الصوتي للغة من خلال فرعين رئيسين، هما: علم الفوناتيك "Phonetics" الذي يدرس أصوات اللغة معزولة عن البنية اللغوية، وعلم الفنولوجيا "Phonology" الذي يدرس الصوت داخل البنية اللغوية، أو في سياقه.[٢] ويضيف علم النطق إلى مهمة علم الأصوات جمع الظواهر الصوتية الدالة في التخاطب البشري، والتي تمثل عاملا أساسيا في بيان المعاني والكشف عن دقائقها، وتستتبع أن تصبح العبارة معها عددا من العبارات ذات السمات الصوتية والنحوية المختلفة، بالرغم من اتفاقها في مكوناتها الصرفية[٣]. ومن أهم هذه الظواهر: النبر Stress ، والتنغيم "Intonation" ، ويطلق علماء اللغة والأصوات المحدثون على هاتين الظاهرتين: الفونيمات فوق التركيبية[٤] "Suprasegmental Phonemes" .

النبر

أما النبر فهو نشاط ذاتي للمتكلم، ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به[٥]، والأثر السمعي المرتبط به هو العلو "Loudness" ، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية[٦] والضغط[٧].

والكلمات التي نتكلمها مجموعة من أصوات متتابعة، لها نظامها النبري المستقل عن نظام النبر في الجمل والمجموعات الكلامية[٨]، والنبر على مستوى الكلمة المفردة يقوم بالتفريق بين المعاني الصرفية للكلمات في اللغات التي تستخدمها فونيما، وتسمى لغات نبرية "Stress Languagc" ، ومن أفضل الأمثلة لهذه اللغات اللغة الإنجليزية؛ فنحن إذا نطقنا كلمة "Import" بنبر المقطع الأول

كانت الكلمة اسماً، وإذا وضعنا النبر على المقطع الثاني كانت فعلاً[٩]. وشبيه بهذا السلوك ما يجري في اللغة الأسبانية[١٠]، فهناك -مثلاً- الكلمة "Termino" التي تتغير وظائفها ومعانيها بتغير مواقع النبر؛ فقد تنطق بنبر المقطع الأول، ومعناها حينئذ: نهاية، أو "Ter'mino" بوقوع النبر على الثاني، وتفيد حينئذ معنى: أنا أنتهي، ...

أما اللغات التي لا تستخدم النبر فونيماً فتسمى لغات غير نبرية؛ إذ لا يقوم النبر فيها بالتمييز بين المعاني الصرفية للكلمات، ومن هذه اللغات: اللغة الفنلندية والتشيكية والبولندية. ومن الواضح أن اللغة العربية الفصحى لا تعتمد على النبر في تصنيفها الصرفي، فلا علاقة بين النبر ومعاني الكلمات، ويَعُدّ الدكتور إبراهيم أنيس ذلك من مميزات العربية[١١].

وبالرغم من أنّ النبر لا يعد ملمحاً تمييزياً بين معاني الكلمات في اللغات غير النبرية؛ فلا ينفي هذا وجوده فيها، فهو في الفنلندية والتشيكية على المقطع الأول، وفي البولندية على المقطع قبل الأخير. والنبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصرفي لا من وظيفة الأداء[١٢]؛ فنحن إذا تأملنا الفعل "فَعَلَ" نجد أن المقطع الأول منبور دائماً، وكذا كلّ ما جاء على مثاله يقع النبر عليه بالطريقة نفسها، ولكنّ موقع هذا النبر يختلف بمجرد اتصال هذا الفعل بلاحقةٍ، نحو: فَعَلْتُ، حيث يقع النبر على المقطع الثاني. ومثل ذلك صيغة "مفعول" يقع النبر على المقطع الأول، وكذا كل ما جاء على مثالها، ولكن هذا النبر يختلف بمجرد اتصالها بلاحقةٍ أيضاً، نحو: مفعولون؛ حيث يقع النبر على المقطع الثاني[١٣].

أما النبر في الجمل أو المجموعات الكلامية – وهو ما يَعنينا هنا– فيقع على غير المقتضيات الصرفية البَحْتة، بل إنه لا يرتبط بها[١٤]، وإنما يرتبط بالأداء والمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع، أي إنه نبر دلالي، يهدف إلى

إبراز أو تأكيد معلومة جديدة أو مهمة في الجملة، ويكون بِنَبْرها لإظهارها على بقية كلمات الجملة، فإذا قلنا – مثلاً – :

نَجَحَ محمدٌ في الامتحان

فإن الغرض من الجملة يختلف باختلاف الكلمة التي يَنبرها المتكلم، فإذا كان التركيز على الفعل "نَجَحَ" فالمرادُ التأكيدُ على الحدث، حدث النجاح وليس غيره، وإذا كان التركيز على الاسم (محمد) فالمراد التأكيد على أنّ محمداً نَجَحَ، وليس خالداً أو غيره.

وأيّ مقطع في المجموعة الكلامية، سواء أكان في وسطها أم في آخرها، صالحٌ لأن يقع عليه هذا النوع من النبر(١٥).

التَّنْغيم والنَّغْمة

أما التنغيم فهو ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام، ويسمى أيضاً موسيقى الكلام(١٦). وهناك نوعان من اختلاف درجة الصوت "Voice– Pitch" يمكن التمييز بينهما(١٧):

١– النغمة "Tone" وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الكلمة.

٢– التنغيم "Intonation" وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة؛ فهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة.

أما النغمة، فهناك لغات تستخدمها استخداماً تمييزياً، بمعنى أنّ اختلاف درجة الصوت في هذه اللغات، يساعد على تمييز كلمة من أخرى، وتُسمى هذه اللغات لغات نغمية "Tone Languages" ، ففي الصينية – مثلاً – نجد أنّ كلمة "فان" تؤدي ستة معان لا علاقة بينها، هي(١٨): (نوم، يحرق، شجاع، واجب، يقسم، مسحوق) وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة.

وشبيه بالصينية بعض اللغات الهندية الأمريكية، والنرويجية والسويدية. أما اللغات التي لا تعتمد على النغمة في التفريق بين معاني الكلمات فتسمى لغات غير نغمية، ومن ذلك – مثلاً – كلمة "نَعَمْ" في العربية، يمكن أن ننطقها بتنوعات من درجة الصوت، ومع ذلك فإن هذه التنوعات ليست جزءاً من الكلمة، بل تظلُّ الكلمة دالة على معنى الإيجاب، اللهم إلا إذا أريد الدلالة على أهداف أسلوبية أو أغراض لغوية إضافية، مثل الاحتجاج أو الاستنكار أو الدهشة....[١٩]

وسواء كانت اللغة نغمية أو غير نغمية، فهناك أنواع من النغمات تستخدمها: [٢٠] فهناك النغمة العادية المستعملة في معظم الكلام، والنغمة العالية، والعالية جداً، وتدل على أمر أو تعجب أو تناقض، والنغمة الواطئة، وتدل على نهاية الجملة.

كما تختلف النغمات من ناحية ثباتها أو تغيرها:

فتسمى مستوية "Level tone" إذا كانت ثابتة.

وتسمى صاعدة "Rise" إذا اتجهت نحو الصعود.

وتسمى هابطة "Fall" إذا اتجهت نحو الهبوط.

وتسمى صاعدةً هابطة "Rise-Fall tone" إذا غيرت نوعها في اتجاهين، إلى أعلى ثم إلى اسفل.

وتسمى هابطة صاعدة Fall-rise Tone إذا غيرت نوعها في اتجاهين، إلى أسفل ثم إلى أعلى.

أما التنغيم فتستخدمه معظم اللغات بطريقة تمييزية تفرق به بين المعاني؛ إذ يمكن في معظم اللغات أن نغير الجملة من خبر إلى استفهام أو توكيد أو انفعال أو تعجب، دون تغيير في شكل الكلمات المكونة؛ فالجملة العربية –مثلاً–:

حَضَرَ مُحَمَّدٌ

صالحة لأن تقال بنغمات متعددة فيتغير معناها مع كل نغمة، فنرى أنها تكون استفهامية إذا نطقت بنغمة صاعدة، من أسفل إلى أعلى، وتكون خبرية إذا نطقت بنغمة مستوية، وتوكيدية إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة. وترتيب الكلمات في الجملة الأولى والثانية والثالثة واحد، والفرق هو طريقة نطق كل جملة.

والجملة الإنجليزية "He lives here" إذا نطقت بنغمةٍ هابطة من أعلى إلى أسفل فإنها تكون جملة خبرية، وتكون استفهامية "He lives here?" إذا نطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى.

ولكل لغة نماذج تنغيمية "Forms" ، وقد قسم د. تمام حسان[٢١] التنغيم في اللغة العربية الفصحى إلى ستة نماذج وقع عليها في دراسته لهجة عدن، وحاول بعد ذلك أن يطبقها على الفصحى، فوجدها – كما يقول– وافيةً بالغرض، وانتهى إلى الأشكال التالية :

١- النغمة الهابطة الواسعة.

٢- النغمة الهابطة المتوسطة.

٣- النغمة الهابطة الضيقة.

٤- النغمة الصاعدة الواسعة.

٥- النغمة الصاعدة المتوسطة.

٦- النغمة الصاعدة الضيقة.

والسعة والتوسط والضيق تتصل باصطلاحات علو الصوت وانخفاضه[٢٢].

ثم أضاف نغمة أخرى سماها "المُسَطّحة" وهي نغمة لا صاعدة ولا هابطة تكون عند الوقف قبل تمام المعنى، ومن أمثلتها الوقف عند الفواصل الثلاث في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ (القيامة ٧-١٠).

فالوقف على "البصر" و "القمر" و "القمر" الثانية؛ وقف على معنى لم يتم، فتظل نغمة الكلام مسطحة دون صعود أو هبوط، أما الوقف عند "المفسر" فالنغمة فيه هابطة لتمام المعنى.

والأشكال النغمية التي توصل إليها د. تمام هي – تقريباً – الأشكال النغمية التي توصل إليها علماء اللغة الغربيون[٢٣]. ويرى د. أحمد مختار[٢٤] أن "معظم أمثلة التنغيم في العربية (ولهجاتها) من النوع غير التمييزي الذي يعكس إما خاصة لهجية، أو عادة نطقية للأفراد ؛ ولذا فإن تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلاً، وكل المحاولات التي قدمت – حتى الآن – لدراسة التنغيم في اللغة العربية قامت على اختيار مستوى معين من النطق، وعلى اختيار نغمات الصوت بالنسبة لفرد معين داخل هذا المستوى، ولكن التنوع بين الأفراد في هذه الناحية يحول بين الباحث وبين تعميم النتائج" وما ذكره د. مختار تعميم لا محل له، فنحن نعلم أن التنغيم – على الأقل – في اللهجات العربية الحديثة يقوم بدور تمييزي واضح، وله وظائف دلالية، ويكفي – في هذا – ملاحظة الأداء المسرحي في إحدى المسرحيات، سواء كان بالفصحى أو العامية؛ لنرى كيف يقوم التنغيم بدور تمييزي واضح. كما أن اختيار مستوى معين من النطق لا يطعن في صحة النتائج، وإنما يشير إلى تحقق الظاهرة ووظيفتها.

ومهما يكن من أمر فليس هِمّة هذا البحث تقعيد التنغيم في العربية؛ إذ ما يزال هذا الأمر بحاجة إلى دراسة تعتمد المختبرات الصوتية الحديثة، وبالرغم من ذلك فإن العربية كغيرها من اللغات تؤدي فيها النبرة[٢٥] والنغمة دوراً مهماً وفاعلاً في التحليل اللغويّ، ولنا أن نسأل أنفسنا – لمعرفة هذا الدور – عن حدث كلامي يُؤدّى بمستوى نغميّ واحد، دون وقف أو تغيير في مستويات نطقه ارتفاعاً أو انخفاضاً! إن الكلام – من حيث هو كيان في ذاته – يَستَمِدُّ خصائصه من مميزاته الداخلية النابعة من عناصره المكونة لكلياته[٢٦]، ولا شك في أنّ التنغيم الذي يُلابس الكلام المنطوق، مع ما يؤدّيه من تراكمات إضافية، له تأثير

واضح في إبرازه، فالحَدَثُ الكلاميّ – في ذاته – لا يَعْرِف وجوداً ولا تجليًّا إلا في الصوت؛ فالنغمة الصوتية أصل في اللغة المنطوقة، واللغة المنطوقة أصل اللغة.

الوَقْف والسّكت والقَطْع

لقد عُدّ التنغيم في العربية من أهم متطلبات الفصاحة، فمن ذلك ما أَخْرجه مُسلم وأبو داود وغيرهما أنّ خطيباً خَطب بين يَدَي الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "من يطع الله ورسوله فقد رَشَدَ ومَنْ يَعْصِيهما فقد غَوى" فغضب عليه النبي – عليه السلام – وقال: "بئس خطيبُ القوم أنت" وفي رواية أخرجها أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) بإسناد مسلسل بالثقات عن عديّ بن حاتم –رضي الله عنه– أن الخطيب وقف على قوله: "ومن يعصيهما" فكان هذا الوقف سبباً لإنكار الرسول، عليه السلام[٢٧]. ويُعدُّ الوقف عنصراً صوتياً مهماً، يُؤدي ما تؤديه النغمة[٢٨]، ومن يطلع على كتب القراءات، نحو كتاب (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري، وكتاب (الاقناع) لمكي بن أبي طالب؛ فإنه يجد منهجاً متكاملاً للأداء القرآني قائماً على أصول صوتية، فقد أسهم علماء القراءات في إضافة تفصيلات صوتية إلى ما أثر عن الخليل وسيبويه، فهم قد سَعَوا إلى وصف تلاوة القرآن الكريم حَسَبَ القراءات المختلفة، فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية[٢٩]، فَفَنُّ "الوقف والابتداء" فن جليل "به يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، وبه تُتَبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات"[٣٠].

والوقف في اصطلاح علماء القراءات قطع الصوت عن الكلمة زمناً، يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة، إمّا بما يلي الموقوف عليه أو بما قبله. والسكت قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف من غير تنفّس، والقطع هو

الانصراف عن القراءة والانتهاء منها، والسكت والقطع كـــالوقف، عنصـــران صوتيان يؤدّيان ما يؤدي التنغيم في الكلام.

وقد وضع علماء القراءات رموزاً كتابية[٣١] للوقف، وقسموا الوقف إلى: تامٍّ وكافٍ وحَسن وقَبيح، وذلك بحسب معاني الآيات وتفسيرها[٣٢].

التّنغيم في الفِكْر التُّراثيّ

كما نجد دور التنغيم واضحاً في كلام ابن جني (٣٩٢هـ) الذي ذكر فيه أن الصفة قد تحذف أحياناً ويدل عليها الحال؛ وذلك فيما حكاه ســيبويه[٣٣] مــن قولهم: سِيرَ عليه لَيْلٌ، وهم يريدون: ليل طويل، قال ابن جني[٣٤]: "وكأنّ هـــذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويـــلٌ أو نحو ذلك. وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكـــون فـــي مـــدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـــ (الله) هـــذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلاً فـــاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك نقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكّـــن الصوت بإنسان وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سَمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك إنْ ذممته ووصفته بالضيق قلت: ســـألناه وكـــان إنســـاناً! وتَزْوِي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً أو لَحِزاً أو مبخّلاً أو نحو ذلك".

وملاحظة الأمثلة التي ذكرها ابن جني للاعتماد على ما وصفه بالتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم وزيادة قوة اللفظ والتمكين في التمطيـــط وإطالـــة الصوت بالحرف المعين عليه:

سيرَ عَلَيْهِ لَيْلٌ

كانَ واللهِ رَجُلاً

سَألْناهُ فَوَجَدْناه إنساناً

تكشف أنه لا يعني بكل هذه الصفات إلا ما يعنيه المُحْدثون بالتنغيم الذي يُـؤدي وظيفة نَحْوِيةً ودلالية في الجملة(٣٥).

ونضيف إلى هذه الملاحظات ما توصّل إليه البـاحث د. عبـد السـلام المسدي في أطروحته للدكتوراة "التفكير اللساني في الحضارة العربية"(٣٦): مـن أنّ النبرة مثلت بعض خيوط النسيج الفكري العربي في تنزيل الكلامِ منازله مـن الزمن، فالقاضي عبد الجبار يُشير إلى ما يسمّيه بالنغم فيربطه بصفاء مخـارج الحروف، ثم يتطرق إلى ما يصطلح عليه بشدة الصوت مبيناً أنها قـد "تكـون لتزايد أجزاء الحروف، ويمكن أن تكون لقوة الأسباب"(٣٧).

ويمضي د. المسدي قائلاً : أما الذي كان إحساسه بقضية النـبرة علـى جانب وافر من الوضوح فهو الشيخ الرئيس ابن سينا وقد تعرض لها – علـى الأقل– في سياقات ثلاثة من آثاره، ففي الفنّ التاسع من جملة "المنطق" ضمـن كتاب "الشفاء"، وهو الفنّ الموسوم بالشعر، يطرق قضية "الزينة" فـي الكـلام، فيبين أن الكلام يَزْدوج تركيبه من الحروف ومما يقـترن بـه– إلـى جـانب الحروف– "من هَيْئةٍ ونَغْمة" على حدّ عبارته(٣٨).

ويثير ابن سينا الموضوع نفسه في أثره الخاص بالبحث فـي "أسـباب حدوث الحروف" فيوضح من جديد ازدواج تركب الحَدَث الكلامي من الناحيـة الصوتية؛ إذ هو متكون من نفس التموّج مضافاً إليه "حال التموّج" وهذه الحـال هي التي تخص تنبير الأجزاء وصبغ أجراسها بالنغم المخصوص، وهكذا يـبرز ما يسميه ابن سينا الحِدّة والثّقل(٣٩): "أما نفس التموج فإنه يفعل الصوت، وأمـا حال التموج في نفسه من جهة اتصال أجزائه وتماسها أو بسطها ونحتها فيَفْعـل الحِدّة والثقل، أما الحِدّة فيفعلها الأولان وأما الثقل فيفعله الثانيان" .

ثم يستوفي موضوع النبرة حظّه عند ابن سينا في الفن الثامن من جملة المنطق المسوم بالخطابة، وأول ما يبرز في هذا المضمار اعتباره نَغَمَ الجملة ذا وظيفة تمييزية من حيث الدلالة الإبلاغية. فبما يسمّيه النبرة يتحدّد طابع الجملة إن كان نداءً أو تعجباً أو سؤالاً[٤٠] بل إن للنبرة دوراً وظائفياً على صعيد البنية النحوية أحياناً، ولا سيما "في أقسام اللفظ المركب، فيجب أن لا تخلّل هذه الأقاويل الطويلة إلا النبرات التي لا يُنغم فيها، وإنما يراد بها الإمهال فقط، وربما احتيج أن تخلّل الألفاظ المفردة، إذا كانت في حكم القضايا، خصوصاً حيث تكون سبيل الشرط والجزاء كقولهم: لَمّا التَمَسَ، أعطيتُ ، فيقول بين (التَمَسَ) وبين (أعطيتُ) نبرة إلى الحِدّة، وهو عند الشرط، وبِعَقِب (أعطيتُ) نبرة أخرى إلى الثقل، وهي للجزاء"[٤١].

وهكذا[٤٢] برغم التلابس الحاصل عند ابن سينا بين مفهوم النبرة– على مستوى الكلمة– ومفهوم النغم– على مستوى الجملة– فإنه يحاول تدقيق القضية بمقارنة داخلية بين عناصرها، فإذا هو يفرّع النَّغَم إلى ثلاثة مكونات "الحِدّة والثقل والنبرات" ولكنه عند تحديد مفهوم النبرة يتوصل إلى الكشف الفني الدقيق، فيكاد يأتي على خصائصها كما نضبطه اليوم لسانياً: "ومن أحوال النغم: النبرات، وهي هَيئات في النَّغَم مَدِّيّة، غير حرفية يبتدئ بها تارة، وتُخَلِّل الكلام تارة، وتعقبُ النهاية تارةً، وربُّما يُكَثَّر في الكلام، وربما تُقلّل ، ويكون فيها إشاراتٌ نحو الأغراض، وربّما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القَطْع، ولإمهال السامع ليتَصَوّر، ولتفخيم الكلام، وربما أُعطيتَ هذه النبراتُ بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل أنه مُتحير أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للعقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك، وربما صارت المعاني مختلفة، باختلافها، مثل أن النبرة قد تَجْعل الخبر استفهاماً، والاستفهامَ تعجباً وغير ذلك، وقد تورَدُ للدلالة على الأوزان والمعادلة[٤٣]، وعلى أن هذا شرط وهذا جزاء، وهذا محمول وهذا موضوع"[٤٤].

التَّنغيم في الأنظار الحديثة

وعلى هذا فإنه من الغريب أنْ يطرد لدى الباحثين المحدثين أن التفكير اللغوي العربي لم يعرف النّبرة والتنغيم، وأنه عرفها بالوظيفة ولم يُحدد مصطلحهما، وتكاد هذه الظاهرة تكون حكماً لدى هؤلاء(٤٥). ويمثل اعتبار التنغيم – أيضاً– ملحظاً ثابتاً في مناهج التحليل اللغوي الحديث؛ إذ يَرى "سابير" "E. Sapir" أنّ النّغم في اللغة قد يكون تحوّلاً قواعدياً، فالتنوع في التنغيم ظاهرة ضرورية في معظم لغات العالم(٤٦)، كما يرى "فيرث" "Firth" أنه لا يمكن "أن يَتِم دراسة جادة لعلم المعنى الوصفي "Descriptive Semantics" لأية لغة منطوقة، ما لم تعتمد هذه الدراسة على قواعد صوتية، وأنماط تنغيمية "Intonational Forms" موثوق بها. وإنها لمن المستحيل أن تبدأ دراسة الصرف بدون تحديد صوتي لعناصره، أو بدون التعرف على هذه العناصر بوساطة التلوين الصوتي، كما تحدث أحياناً. أما النحو فهو ناقص بدون دراسة الأنماط التنغيمية"(٤٧).

ويرى "تشومسكي" أنّ " البِنية السطحية هي التي تقرر من خلال التنغيم الصوتي ماهيّة المعلومات الجديدة أو الهامة التي تحتويها الجملة، وكذلك ما تتضمنه من مفترضات مسبقة، ويدعو هذه المعلومة الجديدة بالبُؤرة التي يتركّز فيها تنغيم الجملة، فيما يشير بالمفترض المسبق إلى ما يقصد ضِمناً بالجملة"(٤٨).

وقد عَدّ تمام حسان النغمة قرينةً من قرائن التعليق اللفظية في السياق(٤٩)، كما جعل بعض المحدثين التنغيم عنصراً من عناصر التحويل التي تنقل الجملة من المعنى الأساسي إلى المعنى المقصود في أساليب التعبير المختلفة، وقد مثّل لها من الأساليب الانفعالية(٥٠).

وهكذا يبدو جلياً – مما قدمناه – أن التنغيم جزءٌ من النظام اللغوي؛ ولذا كان من الخطأ أنْ يُهمل في أي تحليل يَسْعى لضبط العلاقة بين ظاهر اللفظ ومضمون القصد. فبالتنغيم يُمكننا التعبير عن مشاعرنا ومواقفنا في الكلام؛ لما يُضيفه من قيم ثانوية تُسهِم في بيان قيم التراكيب ودلالتها، كالتأكيد أو الشك أو الدهشة أو عدم المبالاة أو الغضب... ولكل من هذه القيم أنماط تنغيمية تزْدوج مع بنية الجملة لترسُم الدلالة المُرادة، دون تغييرٍ في هذه البنية، ففي جملة نحو:

رأيت صديقك

يُمكن أن تنطق بأنماط تنغيمية مختلفة؛ لتدل مع نمط تنغيمي على معنى غير المعنى الذي تدل عليه مع نمط آخر، دون حاجة إلى تفكير أو استنتاج يَهْدي إلى الدلالة المرادة؛ "لأن سياق النغمات في كل جملة له من الطابع العُرفي المشروط المحدد ما للكلمة في دلالتها على معناها، وما للحركة أو الرتبة في دلالتها على الباب النحوي الخاص"(٥١).

وفي ظل هذا نُفسر حذف أداة الاستفهام في كثير من الأمثلة القديمة في الشعر العربي؛ ومن ذلك قوله عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا : تُحِبُّها ؟ قلت : بهرا عدد النجم والحصى والتراب

فقد أغْنَتْ النغمة التي توائم أسلوب الاستفهام في قوله: "تُحبّها؟" عن الأداة، فحذفت الأداة وبقي معنى الاستفهام مفهوماً من البيت(٥٢).

وقول الكميت الأسدي :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لَعباً مني وذو الشيب يَلْعبُ ؟

أي : أذو الشيب يلعبُ؟ والاستفهام – هنا – للاستنكار، استنكار الشاعر أن يلعب مع مَنْ غَزاه الشيب، وكان في سِنّ الكهولة(٥٣).

ومن ذلك ما قيل في تفسير قوله تعالى[٥٤]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ ﴾ بأن قوله (تبتغي مرضاة أزواجك) من الاستفهام المحذوف الأداة، والمعنى: أتبتغي مرضاة أزواجك؟[٥٥]

وعلى العكس من ذلك نجد أمثلة تشتمل على أدوات استفهام، وهي في الوقت نفسه ليست باستفهام؛ بدليل أن بعضهم يفسرها بجملة خبرية تقريرية، ومن ذلك قوله تعالى[٥٦]: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ فيقول المفسرون بأنّ "هل" بمعنى "قد" ، أي قد أتى على الإنسان...

ولا شك أنّ التنغيم الذي يَصْحب نُطق الجملة الخبرية غير التنغيم الذي يصحب نُطق الجملة الاستفهامية.

ولا يقتصر دور التنغيم على التفريق بين أنماط الجمل، استفهاميةً كانت أو خبريةً أو تعجبيةً ... وإنما يقوم بدور رئيس في تحديد العناصر المكونة للجملة، فالكلام – ابتداءً – يتكون من سلسلة من الأصوات المتتابعة التي ينزلق فيها كلُّ صوت من سابقه، ومِن أحوالِه وهيئاته أنه يُنطق بأنساقٍ ومُنحنيات نغمية مختلفة، تراوح بين الصعود والاستواء والهبوط في درجة الصوت. وقد أجمع علماء الأصوات على أنّ العملية المهمة في إنتاج الكلام هي عملية التنفّس، ويُشيرون إلى أنّ معظم الأصوات اللغوية يُحدثها تيّار من الهواء، له بداية ونهاية، ومن الممكن التأثير في هذا التيار بقطْعة أو تجزئته في مواضع مختلفة عبر مبدئه ومُنتهاه.

ومن المعجب حقاً أنّ علماء القراءات قد فرّقوا بين الوقف والسكت والقطع، باعتبار زمن قَطْعِ الصوت وجَرَيان النفس، فالوقْفُ – كما ذَكرنا عنهم– هو قطع الصوت زمناً يتنفس فيه عادة بنية الاستئناف، والسكت قطع الصوت

زمناً دون زمن الوقف من غير تنفس، والقطع هو الانصراف عن القراءة والانتهاء منها. ويُمْكِنُ أن نتكئ على هذه الفروقات لتقسيم الوقف إلى الأنواع التالية:

(//) وَقْف بنغمةٍ هابطةٍ يدل على انتهاء معنى الجملة؛ وأنّ فُسحة زمنية يسيرة ستتبع ذلك قبل استئناف الكلام.

(/) وَقْف بنغمةٍ متوسطة لا هابطةٍ ولا صاعدةٍ تدل على عدم تمام الكلام.

(T) وَقْف بنغمةٍ متوسطة أيضاً يدلُّ على عدم تمام الكلام، وزمن الوقف هنا دون الوقف السابق ودون تنفس، وعلى هذا، ففي جملة نحو:

هذا الرجُل الصادق

يمكن تحليلها نحوياً باعتبار ظاهرة الوقف، (٥٧) هكذا:

١ – هذا T الرجلُ الصادق //

أو هكذا :

٢ – هذا الرجلُ T الصادقُ //

أو هكذا

٣ – هذا الرجلُ الصادِقُ / بنغمةٍ هابطة صاعدةٍ .

وعلى (١) يكون (هذا) مبتدأ خبره (الرجلُ) ، و (الصادِق) صفة.

وعلى (٢) يكون (هذا) مبتدأ خبره (الصادقُ) ، و(الرجلُ) بَدَل .

وعلى (٣) يكون (هذا) مبتدأ و (الرجل) بدل، و (الصادِق) صفة، مع توقُّعِ حَذْف عُنصر لغوي(٥٨) يَنضمُّ إلى العبارة الموجودة ، لتصير جملة ذات معنى يحسن السكون عليه.

والفيصل في هذا التحليل هو اختلاف موضوع الوقف، الوقف التام أو الوقف الناقص(٥٩)، وعلى اختلاف هذا الموضع تتحدّد العناصر اللغوية المكونة للحديث الكلامي، كما أوضحنا. ومما يتصل بهذا ما أورده ابن هشام الأنصاري في العنصر الثالث عشر من عناصر الجهة الأولى التي يدخل الاعتراض على

المعرب من جهتها(٦٠)، وذلك "ما حكاه بعضهم من أنه سَمِع شيخاً يُعرب لتلميذه (قيِّماً) من قوله تعالى (٦١): ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا ﴾ صفة لـ (عوجاً) قال : فقلت له : يا هذا ، كيف يكون العِوج قيِّماً؟ وتَرَحَّمت على مَنْ وَقَفَ مِن القراء(٦٢) على ألفِ التنوين في (عِوجاً) وقفةً لَطيفةً، دَفْعاً لهذا التوهم، وإنما (قيِّماً) حال ... " ومنه أيضاً قول النحاة في بَيْت جميل بن يعمر :

لا لا أبوحُ بُحبِّ بَثْنَةَ إنها أخذَت عليّ مواثقاً وعُهودا

بأن "لا" الثانية توكيد للأولى، والأولى في المعنى الوقفُ على (لا) الأولى هكذا: وقفةً لَطيفةً ثم الاستئناف، ومن الواضح أن تنغيم الجملة في حالة التأكيد يتطلب وصل الكلام(٦٣).

ولقد كانت ظاهرة الوقف في يد علماء القراءات بمنزلة المِجْهر الكاشِفِ الذي تُتَبَيَّنُ به معاني الآيات القرآنية، ويُحْترزُ عن الوقوع في المشكلات – على حد قول الزركشي–(٦٤) أو ما يُعرف عند النّحويِّين بـ "أمْن اللّبْس"؛ ولذا قال أبو بكر بن مجاهد(٦٥): "لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحويّ عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن، وقال غيره: وكذا عِلم الفقه".

وإذا كان لنا أن نُبيِّن ذلك، فيَكْفِي أن نستشهد بأمثلة قليلةٍ تؤيد ما قلناه، ومن ذلك الوقف على قوله تعالى(٦٦): ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ والابتداء بقوله تعالى: (ما كتبناها عليهم).

قال الزركشي(٦٧): وذلك للإعلام بأنّ الله تعالى جَعَلَ الربانيةَ في قلوبهم، أي خَلَقَ، كما جَعَلَ الرأفةَ والرحمةَ في قلوبهم وإنْ كانوا قد ابتدعوها فالله تعالى خلقها... هذا مذهب أهل السنة. وقد نُسِبَ أبو علي الفارسي إلى مذهب الاعتزال بقوله في الإيضاح حين تكلم على هذه الآية، فقال: ألا ترى أن الرهبانية لا

يستقيم حملها على (جَعَلْنا)[٦٨] مع وَصْفها بقوله : (ابتدعوها)، لأن ما يجعله الله لا يبتدعونه، فكذلك ينبغي أن يفصل بالوقف بين المذهبين".

وكذلك الوقفُ على قوله تعالى[٦٩]: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ ثم الابتداء بقوله[٧٠]: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾؛ لضمان أَمْنِ اللَّبْس، وعدم فساد المعنى.

ونَظيرُهُ قوله تعالى[٧١]: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ فإنه يُسْتَحَبُّ الوقف على (يتفكَّروا) والابتداء بقوله: (ما بصاحبهم من جنةٍ)، فإن ذلك يبين أنّه ردٌّ لقول الكفار[٧٢]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ وقال أبو عمرو الداني: وقف تام[٧٣].

كذلك يساعد التنغيم على التوزيع التحليلي للنص الواحد[٧٤]؛ مما يترتب عليه إيضاحُ أنواعِ الجمل والوقوفُ على الإعراب؛ ومن ذلك قوله تعالى[٧٥]: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

وتُقدِّم كتبُ إعراب القرآن الكريم وجوهاً كثيرةً لإعراب هذه الآية الكريمة[٧٦]، مُهملةً ربْطَ هذه الوجوه بظروف القراءة وملابساتها، ومُكتفيةً بالاعتماد على ما تُجوِّزه قواعد اللغة من احتمالات افتراضية أو عقلية[٧٧].

ولا شك في أنّ تطويع المثال الواحد لأكثر من وجهٍ يقتضي تعدّد المواقف، والمثال الواحد في موقف معين لا يقبل غير وجه واحد من الإعراب، وذلك الوجه هو ما يقتضيه النص المنطوق وما تتطلبه ملابسات نطقه. والتنغيم باعتباره مميزاً نحوياً ودلالياً يختار بعض العلاقات النحوية والدلالية القابعة تحت السطح المنطوق، ويظهر تأثيره فيه[٧٨].

والآية الكريمة السابقة تحتمل القراءات التالية، ومع كل قـراءة يتحـدد المدلول والإعراب، وهاك بيان ذلك :

١ – ذلك الكتاب / لا ريب فيه / (...) هدى للمتقين / / [٧٩].

جملة اسمية جملة (لا) النافية للجنس جملة اسمية محذوفة المبتدأ

ويظهر هذا التحليل اعتبار كل جملة قائمة برأسها؛ ولذا قـال الزمخشـري[٨٠]: والذي هو أرسخ في البلاغة أن يقال: (ذلك الكتاب) جملة، و (لا ريـب فيـه) جملة، و (هدى للمتقين) جملة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغـة وموجـب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقةً هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئـها متآخيةً آخذاً بعضها بعنق بعض".

٢ – ذلك الكتابُ لا ريب (٠٠٠) / فيه هُدى للمتقين / / [٨١]

مبتدأ بدل الجملة خبر الجملة خبر ثانٍ

٣ – ذلك الكتابُ لا ريب فيه / (٠٠٠) هُدىً للمتقين / / [٨٢]

مبتدأ بدل الجملة خبر الجملة خبر ثانٍ

٤ – ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هدى للمتقين / /

مبتدأ بدل الجملة حال خبر المبتدأ

ومنه أيضاً قولـه تعـالى[٨٣]: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

وتحتمل هذه الآية :

١ – قالوا يا ويلنا / من بعثنا من مَرْقدنا؟ / هذا ما وَعَدَ الرحمنُ ... / /

حيث يُستحب الوقف على قوله(مَرْقدِنا) والابتداء بقوله: (هذا مـا وعـد الرحمنُ وصدقَ المرسلون) وعلى هذا يكون (هذا) مبتدأ، و (مـا) الموصولـة وصلتها في موضع الخبر؛ على اختلاف المفسرين في القائل لهم ذلك[٨٤].

٢ – قالوا يا ويلنا / من بعثنا من مرقدنا هذا / مـا وعـد الرحمـن وصـدق المرسلون / /

وعلى هذا يكون (هذا) في موضع الصفة لمرقدنا، و (ما) الموصولة وصلتها خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا ما وعد الرحمن ... ، أو مبتدأ خبره محذوف، تقديره: ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق[٨٥].

كما يقوم التنغيم – أيضاً – بمعالجة أنواع من الجمل المُلْبِسة "Ambiguous Sentences" التي يعرض فيها اللَّبْس من جهة بنيتها التركيبية[٨٦]، فتحتمل دلالتها وجهين أو أكثر. وقد كان هذا من المُنطلقات الرئيسة لاعتراض (تشومسكى) على البنيوية، فقد انتهى "إلى التأكيد أنّ لهذه الجمل عدة بنى تركيبية متغايرة، وأن البنية السطحية الواحدة للجملة تُضمِر عدة بِنى كامنة متغيرة، يدعوها بالبنى العميقة أو المقدَرة"[٨٧] .

ومن اللافت للنظر والمُعْجِب حقّاً أنْ يكون هذا الموضع قد عالجه المفسرون – في ظِلّ ظاهرة الوقف – في جريهم اللاهِث وراء الدلالة القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: [٨٨] ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾

هذه الآية يُمكن أن تقرأ :

١. ختم الله على قلوبهم / وعلى سمعهم وعى أبصارهم غشاوةٌ / ولهم عذاب عظيم// .

٢. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم / وعلى أبصارهم غِشاوةٌ / ولهم عذاب عظيم// ,

٣. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوةً / ولهم عذاب عظيم// .

وعلى (١) يكون الخَتْم على القلوب، والغِشاوة على السمع والإبصار، قال القرطبي[٨٩]: "قال بعض المفسرين: الغشاوة على الأسماع والأبصار، والوقف على قلوبهم".

وعلى (٢) يكون الختم على القلوب والسمع، والغِشاوة علـــى الأبصـــار. قـــال الفَرّاء[٩٠]:

"انقطع معنى الختم عند قوله : (وعلى سمعهم)" .

وعلى (٣) يكون الختم في الجميع ، والغشاوة هي الختـم، قـال القرطبـي[٩١]: "فالوقف على هذا على غشاوة" ولا يتأتّى هذا الوجه إلا بنَصْب (غِشاوةً)، قــال الفَرّاء[٩٢]: "ولو نصبتها بإضمار "وَجَعَلَ" لكان صواباً. وزَعَم المفضّل أنّ عاصِم بن أبي النجوم كان يَنْصِبُها". وكقوله تعـالى[٩٣] : ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ ﴾ .

وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه / وجبريلُ وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعــد ذلك ظَهير / / .

١)وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريلُ وصالحُ المؤمنين / والملائكـــةُ بعد ذلك ظَهير / / .

وعلى (١) ، قال أبو حيان[٩٤]: "والمعنى: وإن تتعاونا عليه (أي على الرســول، عليه السلام) في إفشاء سِرّه والإفراط في الغيرة، (فــإنّ الله هــو مــولاه) أيْ مظاهره ومُعينه. والأحسنُ الوقف على قوله: (مولاه)، ويكون (وجبريل) مبتــدأ، وما بعده معطوف عليه، والخبر (ظَهير)... فعلى هذا "جبريل" داخل في الظهراء لا في الولاية، ويختص الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله هو مولاه".

وعلى (٢) ، يكون (وجبريل وصالح المؤمنين) عطفاً على اسم الله، فيدخلان في الولاية، ويكون (والملائكة) مبتدأ، والخبر (ظهير) ؛ فيكون "جبريل" داخلاً فــي الولاية بالنصّ ، وفي الظهراء بالعُموم[٩٥].

وهكذا نجد أنّ ظاهرة الوقف – وهي تمثل بعض خصوصية في الصوت اللازم لإنجاز الحدث الكلامي – تقوم بتقسيم الحَدَث أو قَطْــع سلسـلة الزمــن اللازمة لإنجازه[٩٦]، وعلى هذا الإنجاز يتحدّد للحدث التعبيري كونٌ ما، فهو مع

وَقْفٍ معيّنٍ يمكن أن يكون جملةً واحدةً، ومع وقفٍ آخر يمكن أن يكون أكثر من جملة، وفي كل موقف تتحدد العناصر اللغوية المكونة للحدث؛ فتتحدد بالتالي الدلالة المرادة، ومن المُعجب حقاً أنّ علماء القراءات إنّما كانوا يبتغون في تقسيماتهم للوقف معاني الآيات، وقد جاء في الخبر عن ابن عمر – رضي الله عنهما– أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده، كما يتعلّمون القرآن(٩٧).

التنغيم وعلامات الترقيم

ولا يُعترضُ على هذا بأنّ علامات الترقيم في الكتابة تقوم مقام التنغيم في الكلام؛ لأن التنغيم يَزْدوج مع الكلام ويُعد جزءاً من نظامه، كما أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفيّ للجملة بما يستخدمه من نغمات أكثر مما يستخدم الترقيم من علامات(٩٨)، ألا ترى إلى قوله تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾.

فالوقف على (الحمدُ لله) وقف حسن؛ لأنها جملة يحسن السكوت عليها(٩٩)، إلا أنّ الابتداء بما بعده لا يحسُن، لأنه لا يتمّ إلا بالجملة الأولى؛ لذا فإنّ القارئ إذا أراد الابتداء يُعيد قراءة الجملة الأولى. ويجوز الابتداء بـ (رب العالمين) بعد الوقف على (الحمد لله) برفع "ربّ" أو نصبها على النعت المقطوع، وهي قراءة جماعة(١٠٠).

ثم إن للتنغيم على الترقيم"ميزة الحياة والحركة والموقف الاجتماعي، وربما أصبحتْ له القدرة على مشاركة الكتابة عنصر الدوام وإمكان الاستحضار مرة أخرى، وإعادة التجربة وتَخَطي حدود الزمان والمكان بعد اختراع أشرطة التسجيل والإذاعة "والتلفزيون" وفي كل هذه المخترعات يحتفظ النص بدلالة النغمةِ وبالموقف الاجتماعي"(١٠١).

خاتمة

وبعدُ، فقد حاول هذا البحث أن يدرس ظاهرة التنغيم، وأن يبيّن دورها في التحليل اللغويّ، فانطلق من تحديد مفهوم النبرة والنغمة والتنغيم، باعتبارها ظواهر صوتية تزدوج مع البنية اللغوية للتركيب؛ فتساعد على فهم قيم التراكيب ودلالاتها، في مختلف اللغات. والعربية كغيرها من اللغات يؤدي فيها التنغيم دوراً مهماً في التحليل اللغوي، فقد عرف التفكير اللغوي العربي هذا الدور بالتلميح إليه تارة، وبالتصريح أخرى. ويكفي أن نشير إلى أن علماء القراءات أسهموا في تقديم منهج متكامل للأداء القرآني قائم على أصول صوتية، فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة، ومن هذه الخصائص ظاهرة الوقف والابتداء والسكت والقطع، وكلها تؤدي ما تؤديه النغمة في الكلام، ومن المعجب أنهم بنوا تقسيماتهم للوقف على معاني الآيات؛ مما يدل على أن هذه الظاهرة تعد ملمحاً تمييزياً يؤدي وظيفة دلالية ونحوية، ويقوم بما تقوم به النغمة في الكلام.

ثم انتهى البحث إلى بيان دور التنغيم في التحليل اللغوي، ذلك الدور الذي ينهض بتفسير كثير من الظواهر النحوية، كتحديد العناصر اللغوية المكونة للجملة، ومسألة تعدّد وجوه الإعراب، ومسألة الغموض التركيبي ... ، مما يقدّم دليلاً على أن التنغيم جزء لا يتجزأ من النحو.

الهوامــــش

١. الخصائص ٣٣/١ .

٢. ولذلك يطلق على هذا الفرع : علـــم الأصـــوات التشـــكيلي، أو علـــم الأصوات التنظيمي أو علم وظائف الأصوات.

٣. وانظر : د. كمال بشر / علم اللغة العــام – الأصـــوات ص ١٩٧ ، د. خليل عمايرة/ في نحو اللغة وتراكيبها ص ١٧١ حاشية (٣).

٤. أو الفونيمات الثانوية "Secondary" وإنما عُدّت هذه مـــن الفونيمـــات– بالرغم من أنها لا تدخل في تركيب البنية اللغوية – لأنها تؤدي وظـائف صرفية ونحوية ودلالية في التراكيب اللغوية، كما يحـــدث تمامـــاً مـــن التقابل بين الصوامت والصوائت (انظر : د. أحمـــد مختـــار / دراســـة الصوت اللغوي ص ١٨٦).

٥. دراسة الصوت اللغوي ص ١٨٨ . أو هو إشباع مقطع من المقـــاطع، وذلك بزيادة ارتفاعه الموسيقي أو مداه أو شـــدته (الطيـــب البكـــوش/ التصريف العربي ص ٨٠).

٦. المقصود بالكمية اعتبار القيمتين الخلافيتين اللتيـــن تســـميان "الطـــول والقصر" في الحروف الصحيحة تشديد والقصر إفراد، والطـــول فـــي حروف العلة مد والقصر حركة، فالفرق بين "فَعَلَ" و "فَعَّل" فـــرق فـــي الإفراد والتشديد ، والفرق بين "فَعَلَ" و "فاعلَ" فرق في الحركة والمـــد. انظر : تمام حسان/ اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٠٠ .

٧. انظر : د. تمام حسان / مناهج البحث في اللغة ص ١٦٠ .

٨. السابق ١٦٠ .

9. دراسة الصوت اللغوي ص ١٨٨ – ١٨٩ .
10. علم اللغة العام – الأصوات ص ١٨٥ .
11. د. إبراهيم أنيس / الأصوات اللغوية ص ١٧٤ .
12. مناهج البحث في اللغة ص ١٦٠ .
13. هناك خلاف بين المحدثين العرب في تحديد موضع النبر في الكلمة العربية، انظر :
    د . إبراهيم أنيس / الأصوات اللغوية ص ١٧١ .
    د . تمام حسان / مناهج البحث في اللغة ص ١٦١ .
    د . داود عبده / دراسات في علم أصوات العربية ص ١٠٧ .
    د . أحمد مختار / دراسة الصوت اللغوي ص ٨٠ .
    الطيب البكوش/ التصريف العربي ص ٨٠.
14. مناهج البحث في اللغة ص ١٦١ .
15. السابق ص ١٦٣ .
16. الأصوات اللغوية ص ١٧٥ .
17. دراسة الصوت اللغوي ص ١٩١ .
18. الأصوات اللغوية ص ١٧٥ .
19. انظر : دراسة الصوت اللغوي ص ١٩٢ .
20. السابق ص ١٩٣ .
21. انظر : مناهج البحث في اللغة ص ١٦٥، واللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٩.
22. وكان الدكتور تمام قد اعتمد على وجهتي نظر مختلفتين للتوصل إلى هذه الأشكال: إحداهما شكل النغمة المنبورة الأخيرة في المجموعة الكلامية، والثانية: المدى بين أعلى نغمة وأخفضها سعةً وضيقاً. فأما من

الوجهة الأولى فينقسم إلى : نغمة هابطة، ونغمة صاعدة. وأما من الوجهة الثانية فينقسم إلى ثلاثة أقسام: الواسع والمتوسط والضيق.

٢٣. انظر د. حلمي خليل / مقدمة لدراسة اللغة ص ٢٤٢ .

٢٤. دراسة الصوت اللغوي ٣١٥ .

٢٥. نريد هنا – النبر الدلالي أو السياقي.

٢٦. د. عبد السلام المسدي / التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص٢٤٦.

٢٧. انظر: قواعد التجويد ص ٧٥ ، البرهان في علوم القرآن ١/٣٤٣ . وسبب غضب الرسول صلى الله عليه وسلم أن الوقف على "ومن يعصهما"، يجعل الواو عاطفة "مَنْ" الشرطية على فاعل "رشد" المضمر؛ فيصبح المعنى: رشد هو ومن يعصي الله والرسول.

٢٨. د. محمود السعران / علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ٢٢٥ .

٢٩. السابق ص ٩٦ .

٣٠. الزركشي / البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٤٢ .

٣١. من هذه العلامات :

(س) وضع حرف السين فوق الحرف الأخير في بعض الكلمات يدل على السكت على ذلك الحرف في حال وصله بما بعده سكتة يسيرة من غير تنفس.

(م) علامة الوقف اللازم.

(لا) علامة الوقف الجائز جوازاً مستوي الطرفين.

(ج) علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولي.

(صلى) علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى.

(قلى) علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولي

(∴ ∴) علامة تعانق الوقف، بحيث إذا وقف على أحـــد الموضعيـــن لا يصح الوقف على الآخر.

٣٢. اختلف علماء القراءات في تقسيمهم للوقف بسبب اختلافهم في معـــاني الآيات وتفسيرها، وكل ما ذكروه لا يخرج عن هذه الأقسام، وهي التـــي ذكرها أبو عمرو الداني وابن الجزري. انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٢٥/١ ، قواعد التجويد ص ٧٦ .

٣٣. الكتاب ١١٥/١.

٣٤. الخصائص ٢ /٣٧٠ – ٣٧١ .

٣٥. انظر : د. محمد حماسة / النحو الدلالي ص ١٢٤ .

٣٦. ص ٢٦٤-٣٧١ .

٣٧. المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٢٠٦/٧ . (كمـــا أحال الباحث).

٣٨. أي عبارة ابن سينا في كتابه "الشفاء" – الفن التاسع– الشعر ص٦٧، كما أحال الباحث.

٣٩. أسباب حدوث الحروف ص ٤ ، كما أحال الباحث أيضاً .

٤٠. كتاب الشفاء ، الجملة الأولى: المنطق، الفن الثامن– الخطابة، ص ٢٢٢

٤١. السابق ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

٤٢. الكلامُ للمسدّي .

٤٣. يعني أن النبرة أو النغم لهما وظيفة الإبراز الجمالي الصرف.

٤٤. كتاب الشفاء، الجملة الأولى: جملة المنطق، الفـــن الثـــامن – الخطابـــة ص١٩٨. والموضوع في لغة المناطقة هو المسند إليه في عرف النحاة، والمحمول هو المسند.

٤٥. انظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ٢٦٥ حاشـــية (٩١) و ص ٢٦١ حاشية (٦٦).

٤٦. Sapir, Language chap, 4, p (78-81) .

٤٧. د. كمال بشر / علم الأصوات ص ١٨٤، نقلاً عن :

Firth , Papers in Linguistics P. 18 .

٤٨. جون سيرل : تشومسكي والثورة اللغوية – الفكر العربي، العددان (٨ ، ٩) ، ١٩٧٩م، ص ١٤١ .

٤٩. اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٦ .

٥٠. Amaire, Various elements ascer taining meaning in Arabic Grammar, Journal of Semitic Studies, Vol 26, No. 1 , 1981, p.41

وانظر : في نحو اللغة وتراكيبها ص ١٧١ – ١٧٧ .

٥١. اللغة العربية معناها وتراكيبها ص ٢٢٦ .

٥٢. السابق ص ٢٢٧ .

٥٣. وانظر : د. خليل عمايرة / أسلوب النفي والاستفهام في العربية ص ٥٢

٥٤. التحريم : ١ .

٥٥. وانظر : د. كمال بشر / علم الأصوات ص ١٨٩ .

٥٦. الإنسان : ١ .

٥٧. وباعتبار أنواع الوقف التي ذكرناها .

٥٨. هو الخبر.

٥٩. أعني الوقف الذي أشرت إليه بالخط المائل (/) .

٦٠. مغنى اللبيب ٥٣٤/٢ ، وانظر : د. نهاد الموسى/ نظرية النحو العربية في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص ٨٠-٨١ .

٦١. الكهف ١-٢ .

٦٢. وهو "حفص" .

٦٣. وانظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٨ .

٦٤. البرهان في علوم القرآن ٣٤٢/١ .
٦٥. السابق ١ / ٣٤٣ .
٦٦. الحديد : ٢٧ .
٦٧. البرهان في علوم القرآن ٣٤٨/١-٣٤٩، وانظر: الفتوحات الإلهية ٢٩٦/٤، والبحر المحيط ٢٢٨/٨، والكشاف ٦٧/٤ .
٦٨. أي لا يُجَوّز عطف (ورهبانية) على (رأفة).
٦٩. يونس : ٦٥ .
٧٠. يونس : ٦٥ .
٧١. الأعراف : ١٨٤ .
٧٢. الحجر : ٦ .
٧٣. البرهان في علوم القرآن ٣٤٦/١ .
٧٤. وانظر : د. محمد حماسة / النحو الدلالي ص ١١٩.
٧٥. البقرة : ٢.
٧٦. انظر : البحر المحيط ٣٦/١-٣٧ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٤٤/١-٤٦.
٧٧. د. كمال بشر / علم الأصوات ص ١٩٢ .
٧٨. وانظر : السابق ص ١٩٢ ، والنحو الدلالي ص ١١٩ .
٧٩. العلامة (...) تدل على حذف المبتدأ أو الخبر أي هو هدى، أو فيه هدى.
٨٠. الكشاف ١٢١/١ ، وانظر ما بعده .
٨١. وحذف خبر (لا) النافية للجنس، أي لا ريب فيه .
٨٢. انظر حاشية (٧٩).
٨٣. يس : ٥٢ .

٨٤. انظر : الكشاف ٣٢٦/٣، والبحر المحيط ٣٤١/٧، والفتوحات الإلهيـــة ٥١٩/٣، والبرهان في علوم القرآن ٣٤٥/١.
٨٥. وانظر الزجاج / معاني القرآن وإعرابه ٢٩١/١ .
٨٦. وانظر : Roach P., English Phonetics and Phonology P.145
ود. نهاد الموسى / نظرية النحو العربي ص ٨١ .
٨٧. جون سيرل / تشومسكي والثورة اللغوية، الفكر العربي، العددان ٨ ، ٩، ص ١٢٦ .
٨٨. البقرة : ٧ .
٨٩. تفسير القرطبي ١٩١/١ .
٩٠. معاني القرآن ١٣/١ .
٩١. تفسير القرطبي ١٩١/١ .
٩٢. معاني القرآن ١٣/١ ، وانظر : البحر ٤٩/١ ، والكشاف ١٦٤/١ .
٩٣. التحريم : ٤ .
٩٤. البحر المحيط ٢٩١/٨ ، وانظر : البرهان في علوم القرآن ٣٤٩/١.
٩٥. وانظر : الكشاف ١٢٧/١-١٢٨ ، والبحر ٢٩١/٨.
٩٦. وانظر : د. عبد السلام المسدي / التفكير اللساني في الحضارة العربيـــة ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .
٩٧. البرهان في علوم القرآن ٣٤٢/١ .
٩٨. وانظر : د. عبدالسلام المسدي / التفكير اللساني في الحضارة العربيـــة ص٢٥٥، ٢٥٦ .
٩٩. ولا يحسن هنا وضع الفاصلة.
١٠٠. انظر : البحر المحيط ١٩/١ ، وتفسير القرطبي ١٣٩/١ .
١٠١. اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٧ .

المصادر والمراجع

أولاً : العربية :

١. إبراهيم أنيس (دكتور) : الأصوات اللغوية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٩م.

٢. أحمد مختار عمر (دكتور) : دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب ط٢، ١٩٨١م .

٣. ابن الأنباري أبو البركات: البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م.

٤. تمام حسان (دكتور): اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، ١٩٧٩م .

٥. مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط٢، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٦. ابن الجزري (محمد بن محمد : الدمشقي) : النشر في القراءات العشر، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧. الجمل (سليمان بن عمر) : الفتوحات الإلهية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٨. ابن جنّي : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٩. حلمي خليل (دكتور) : مقدمة لدراسة اللغة، دبي، دار القلم، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٠. أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ، الرياض، مطـابع النصـر الحديثة.
١١. خليل عمايرة (دكتور) : أسلوب النفي والاستفهام في العربيـة (بدون معلومات خاصة بالنشر).
١٢. ـــــــــ، في نحو اللغة وتراكيبها، جدة عالم المعرفـة ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١٣. داود عبد ه (دكتور) : دراسات في علـم أصـوات العربيـة، الكويت، مؤسسة الصباح.
١٤. الزجاج : معاني القرآن وإعرابـه ، بـيروت عـالم الكتـب، ١٩٨٨م .
١٥. الزركشي (محمد بن عبدالله) : البرهان فـي علـوم القـرآن، بيروت، دار المعرفة.
١٦. الزمخشري : الكشاف ، بيروت ، الدار العالمية.
١٧. سيبويه : الكتاب ، القاهرة، مطبعة بولاق ١٣١٦هـ .
١٨. الطيب البكوش : التصريف العربي من خلال علـم الأصـوات الحديث، تونس، ط٢، ١٩٨٧م.
١٩. أبو عاصم (القارئ عبد العزيز بن عبد الفتاح): قواعد التجويـد، المدينة المنورة، مطابع المختار الإسلامي ، ط٤ ، ١٣٩٩هـ .
٢٠. عبد السلام المسدي (دكتور) : التفكير اللساني فـي الحضـارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط٢ ، ١٩٨٦م.
٢١. الفراء : معاني القرآن، بيروت ، عالم الكتب ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
٢٢. القرطبي : الجامع لأحكـام القـرآن ، بـيروت ، دار الكتـاب العربي.

٢٣. كمال بشر (دكتور) : علم اللغة العام (الأصوات) ، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٦م.

٢٤. محمد حماسة (دكتور) : النحو الدلالي، القاهرة، مطبعة المدينة، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٥. محمود السعران (دكتور) : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت دار النهضة العربية.

٢٦. نهاد الموسى (دكتور) : نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، عمان / دار البشير ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٢٧. ابن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الكتب العربي.

ثانياً : الأجنبية :

28. Roach Peter : English Phnoetics and Phonology, Cambridge University Press, 1984.
29. Sapir : Language , An Introduction to the study of speech, Harcourt Broce and World, Inc., New Yourk, 1970.
30. Amaireh, K.A., : Various elements ascertaining meaning in Arabic grammar, Journal of semitic studies, Vol. 26, No. 1,1981.

ثالثاً : الدوريات :

٣١ . جول سيرل : تشومسكي والثورة اللغوية ، الفكر العربي، العددان ٨، ٩، ١٩٧٩م.

* نشر هذا البحث في مجلة دراسات (الجامعة الأردنية). مجلد (١٩أ)، ع(٢)، ١٩٩٢م.



الدراسة الثالثة

أبو حيَّان وبَحْرُه المحيط " التفسير الكبير"

مقدّمة

قُدِّر لأبي حيّان، محمد بن يوسف بن علي بن حيّان، أثير الدين الأندلسي الجيّاني النِّفْزيّ [1]، أنْ يحيا في عصرٍ متأخر (٦٥٤هـ – ٧٤٥هـ)، وفي بيئةٍ أُتيح لها أن ترث البيئات الإسلاميّة؛ فقد شدا في مسقط رأسه غرناطة بعضاً من علوم القرآن والحديث واللغة العربية على يد عدد من علماء بلده، ثمّ خرج من الأندلس واتجه إلى مصرٍ طلباً للعلم والسّعة في الرِّزق، وقد كانت مصر، يوم دَخَلها، منارة ومهوى أفئدة العلماء بعد نكبات بغداد والمدن الأندلسية.

وفي مصر استقرّ أبو حيان، وفيها كَتَبَ وألَّف كتباً كثيرة، وتصدّر للإقراء والتّدريس، وشُهِر بالتّبحّر في علومٍ كثيرة، وآثاره الكثيرة دالة على ذلك؛ فقد كان موسوعيّ الثقافة كثير الاطّلاع، إذْ لم يقصر همه على الدراسات القرآنية، بل إنّه كان على صلةٍ وثيقةٍ بكتب الأدب ودواوين الشعر، يستحضرها عند المناسبات[2].

ولعل ما يؤكدٌ موسوعيته حديثه عن علمه ومروياته، وشيوخه الذين زادوا على (٤٥٠) شيخاً وأكثر من ألف مُجيز [3]، وقرأ عليه جَمٌّ غفير من الناس، وصاروا شيوخاً في حياته[4]، ومن هؤلاء : السَّمين الحلبيّ (٧٥٦هـ)، وابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ)، وابن عقيل (٧٦٩هـ)...

ويُوصف أبو حيّان بأنه : نحويّ ولُغويّ ومُفسِّر ومُقْرِئ ومُحَدِّث وأديب، وكان من ثمار ذلك آثار علميّة كثيرة تشهد له بسعة علمه وإطّلاعه على علوم كثيرة، وهي بين : مفقود ومخطوط ومطبوع، وبين: شروح لكتب غيره، مثل : كتب ابن عصفور (٦٦٩هـ)، وابن مالك (٦٧٢هـ)، وكتب تَفَرَّد أبو حيان بوضعها. وهي أيضاً في : النحو واللغة والتفسير والحديث والفقه والقراءات والنّقد والبلاغة والشعر، وفي لغات مختلفة كالتركية والفارسية والحبشية... وقد جاوزت مصنفاته (٦٠) مصنفاً، وقد حصرها كثير ممنّ ترجموا لأبي حيان أو درسوا كتبه أو حققوها، قديماً وحديثاً [5]، ويُهمّنا هنا أن نتحدث عن كتابه :"البحر المحيط" لصلته بهذا البحث.

البحر المحيط

مضمونه، منهجه، أهمّيّته

يأتي "تفسير البحر المحيط" لأبي حيّان واحداً من كُتُب التّفسير الجامعة؛ إذ يُعدُّ من عيون ذخائر التُّراث، نظراً لسعته وغزارة مادَّتِه، فقد كان أبو حيّان نفسُه يُسمِّيه "الكتاب الكبير" (٦).

وتُؤلِّف النُّقول المختلفة المادَّة الرئيسة للكتاب، وهذا شأن معظم كتب المتأخّرين، ويأتي كتاب "الكشاف" للزمخشري (٥٣٨هـ) المصدر الأول من مصادر الكتاب، يليه كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية (٥٤١هـ) وقد جَعَل كتاب سيبويه (١٨٠هـ) أهم الكتب النحوية التي يعتمد عليها "فهو المرقاة إلى فهم الكتاب، إذ هو المطلع على علم الإعراب" (٧) كما ذكر "التسهيل" لابن مالك و"الممتع" لابن عصفور.

وتنوعت مصادره الفرعيّة بين كتب : لغةٍ ونَحْوٍ وبلاغة وقراءة وأدب وفقه... وغير ذلك مما ذكره في مقدمة كتابه، أو مما أحال إليه في مختلف أجزاء الكتاب(٨).

أما منهجه في الكتاب فقد صرّح به في مقدمته، فهو : يبدأ الكلام على مفردات الآية مبيِّناً خصائصها المعجميّة والصرفية والنحوية قبل التركيب، محدّداً معناها في سياقها، ثم يحشد القراءات القرآنية شاذَّها ومستعملها، ويذكر توجيهها، ويعرِّج على أقاويل السلف والخلف في فهم معاني الآيات، وينقل أقوال الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية. ويُحيل في ذكره القواعد النحوية على كتب النحو، ويقوم بإخراج الوجوه الإعرابية على أحسن إعراب وأحسن تركيب، ويختم كلامه في جملة من الآيات التي فسرها إفراداً وتركيباً بما ذكر العلماء فيها من البيان والبديع.

ويُعدُّ الكتابُ، بحقٍ، أغْنى كُتُب الإعراب القُرآنيّ؛ ولعلّنا نكشف، فيما يلي، أهميّة هذا الكتاب الموسوعة :

* يعرض أبو حيان لكثير من مسائل النحو والصرف في إضافةٍ وبسطٍ، مما يجعله "كتاب نحو وصرف لا وجود لمثله" (٩).
* يُعد الكتاب خير معين على التعرّف على مرحلة مهمة من مراحل مسيرة النحو العربي، وهي مرحلة الجمع والتنسيق؛ فمن خلاله نقف على الجهود المضنية التي بذلها العلماء في ذلك، وقد أعلن أبو حيان في مقدمته - كما ذكرنا - عن منهجه في إعراب القرآن الكريم بأن يُحمل على أحسن الوجوه، وأن يُنَزّه عن الضرورات(١٠)، ولا شكّ أنّ ذلك يُعين على فهم الآيات وبيان مدلولها.
* والكتاب غنيٌّ بشواهد العربيّة واللهجات، كما أنّه معجم لغوي فريد على نحوٍ يجعله لا يقل عن "مفردات" الراغب الأصبهاني (٥٠٢هـ)، وهو أوسع مصدر للقراءات القرآنية؛ فقد جمع أبو حيّان من القراءات، متواترها وآحادها وشاذّها، ما لم يجمعه غيره، ولا سيّما القراءات الشاذّة.
* والكتاب، بعد كُلّ أولئك، يقف الدارسَ على مناهج البحث وطرائقه وأصول الحوار والمناقشة، وهذا يتّفق وخطته في الكتاب، فهو لا يعرض الآراء دون أخْذٍ وردٍ، وإنما نجده، في تحليله الآيات الكريمة، يحاور ويُناقش ويُعلّل رأيه ويُرجّح ما يراه مناسباً، مما يَدُلُّ على أنّه وَقَف على كثيرٍ من خصائص الظاهرة اللغوية وتحليلها وتفسيرها، وهذا ما سنُبَيِّنُه تالياً.

مذهب أبي حيّان النَّحْوِيِّ

كان أبو حيّان بصريَّ النَّزْعة في النّحو، يذهب مذهب سيبويه وينهج نَهْج البصريين ويقتفي أثرهم؛ فقد جعل كتاب سيبويه - كما ذكرنا - أهمَّ الكُتُب التي يعتمد عليها في فهم كتاب الله، وأثنى عليه وأكثر من الاستشهاد بأقواله(١١).

ولم يكن أبو حيّان متعصباً لمذهب البصريين، بل يُعلن، صراحةً، أنه ليس متعبّداً بقول نحاة "البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكمٍ ثبَتَ بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقلْهُ البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقلْهُ الكوفيون "[١٢].

ويُوصَف أبو حيّان بأنّه "شَيْخُ الالتزام والمُحافظة" [١٣] ويبدو ذلك من خلال :

أ- التزامه بظاهر النّصّ

كان أبو حيان ظاهريّاً، يَسير مع الظاهرة اللغوية في معالجاته النّحوية وتفسيره القرآن الكريم، ولا يصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيءِ على ظاهره ولا سيَّما إذا لم يَقُمْ دليل على خلافه، ويَوَدُّ لو يصِلُ إلى منطوق الآية بأقرب طريق، دون إضمارٍ أو تقديم أو تأخيرٍ أو جَرْيٍ وراء مُشاحّاتٍ لا طائلَ مِن ورائها[١٤].

وظاهريّة أبي حيان في النَّحو تتمثّل في أنّه وافق مَنْ نادى بالظاهرية من الأندلسيين كابن حزم الظاهري وابن مضاء القرطبي، خلافاً لمن ذهب من المحدثين والمستشرقين من أنّ ظاهريتّه كانت بسبب تمسكه بآراء النحويين الأوائل، ولا سيّما سَيبَويه[١٥].

ومما يدلّ على علاقته بالنزعة الظاهرية أنّه كان يُلح على الظاهر في تفسيره وفي كل حُكمٍ يرتئيه، ونجد هذا على امتداد البحر، ومن عباراته في ذلك: وهذا خلاف الظاهر والأكثر في لسان العرب [١٦]، وليس يقتضي ظاهر الآية، بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب.

ونراه يتسلّح بهذه النزعة في أثناء المفاضلة بين رأيٍ ورأيٍ، أو في ردّه مسألة من المسائل، من ذلك قوله في ردوده : "العدول عن الظاهر إلى غير الظاهر إنما يكون لمرجِّح" [١٧] "وهذا فيه بعد عن هذا التركيب وصرف عن

الظاهر بغير ضرورة تدعو إلى ذلك"[١٨]... ونحو ذلك من العبارات، مما يؤكّد التزامه بظاهر النصّ.

ب- التزامه بالصناعة النحوية

ويقف من الصناعة النحوية، أيضاً، موقف الالتزام والمحافظة؛ ولذا نراه يُحاكم الظاهرة النحوية أو المسألةَ وفقاً لما تقتضيه قيود الوظائف النحوية: الصرفية والنحوية، والدلالية، فهو يتمسك بهذه القيود، ولم يكن ليسمح أن يُتهاون في مجاوزة معطيات هذه الصناعة ولو كان الوجْهُ موافقاً للمعنى، يقول في ذلك: " وما ذكره الزجاج وأوضحه ابن عطية صحيح من حيث المعنى، لكنّ صناعة النحو لا تُساعد عليه" [١٩].

وكثيراً ما يعترض على الزمخشري وغيره حين يلقى فيهم نزعة التحوُّر من قيود الصناعة النحوية، بل إنّ معظم ردوده كانت تنطلق من هذا المبدأ؛ من ذلك أن أبا حيّان يرى أن معنى الأداة (ثمّ) في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ؛الانعام:١ هو المهلة في الزمان على أصلها، وينقل عن ابن عطية أنها دالة على قُبح فعل الذين كفروا؛ لأن المعنى أن خلقه السموات والأرض وغيرها قد تقرَّر وآياتُه قد سطعت، ثم بعد ذلك كله قد عدلوا بربهم، فهذا كما تقول: يا فلانُ أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إليك ثم تشتمني، أي بعد وضوح هذا كله.

ويروى عن الزمخشري أن (ثم) للاستبعاد، أي استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته. ويعلق أبو حيان قائلاً: وليس بصحيح؛ لأن (ثُمّ) لم توضع لذلك، وإنمّا التوبيخ أو الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام، لا من مدلول (ثم)، ولا أعلم أحداً من النحويين ذكر ذلك، بل (ثم) هنا للمهلة في الزمان [٢٠].

أما موقفه من أصول النَّحو : السماع والقياس والاستصحاب، فسنبيِّنه عند الحديث على الأصول والضوابط التي تشكِّل الوجه النحويّ أو اختياره عنده .

مسائل النّحو في البَحْر المحيط

يُعدُّ البحر أهمّ كتب الإعراب وأجمعها فائدةً وأكثرها تفصيلاً، ومن يقرأ "البحر" يجد مادة غزيرة وتَتَبُّعاً دقيقاً لأصول الصناعة النحوية؛ فقد اهتمّ أبو حيان في بحره باللغة والنحو والصرف والقراءات واللهجات... إلى جانب كشف معاني الآيات القرآنية الكريمة وتوضيحها.

يعرض أبو حيان لكثيرٍ من مسائل النحو مفصّلاً في كل مسألة، مُلِمًّا بها من جميع أطرافها، يذكر الرأي والرأي الآخر في إفاضة وتفصيل. وقد اتَّسمت كثير من الوجوه الإعرابية وغير الإعرابية التي عرض لها، بالتعدّد واختلاف النحويين والمعربين في توجيه هذه الوجوه، وكان موقف أبي حيّان من هذا التعدّد يتمثل :

أ- إجازة أكثر من وجه :

وتتخذ هذه الإجازة ثلاث صور :

١- فقد يورد أكثر من وجْهٍ في المسألة الواحدة، منه ومن غيره، دون أن يفاضل بينها.

٢- وقد يرفض وجوهاً من الوجوه التي يذكرها، ويجيز وجوهاً أخرى منها.

٣- وقد يصف بعض الوجوه التي يذكرها بالقوّة، ويصف الأخرى بالضّعف.

أمَّا الصورة الأولى فمثالها ما جاء في تحليل في قوله تعالى : قال تعالى :

﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ

لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ ﴾ البقرة : ٢٧١ قال أبـــو حيـــان [٢١]:
ومن قرأ برفع الراء في (ويكفر) فيحتمل أن يكون الفعل خبر مبتدأ محذوف، أي : ونحن نكفر... ويحتمل أن يكون مستأنفاً لا موضع لــــه مــن الإعــراب ... ويحتمل أن يكون معطوفاً على ما بعد الفاء.

قـــال تعـــــالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [البقرة:١١٤].

قال أبو حيان [٢٢]: (أن يذكر) يحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً لـــ (منع)، أو مفعولاً من أجله.... أو بدلاً من (مساجد) بدل اشتمال... أو مفعولاً على إســقاط حرف الجر.

وإذا كان الوجه منقولاً من غيره كـــان يُصَـــرِّح بعبـــارات : قيـــل ...، جوزوا... ، وذهب بعض المعربين. ومثاله قوله تعالى قال تعـــالى : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ ﴾ [النساء:٧٧]. قـــال[٢٣]: (أو) على بابها من الشكّ في حقِّ المخاطب، ثم ذكر أربعة أوجه أخرى، فقال : وقيل: للإبهام على المخاطب. وقيل : للتّخيير. وقيل : بمعنى الواو . وقيـــل : بمعنـــى بل.

أما الصورة الثانيـــة فمثالـــها قولـــه تعـــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ البقرة : ٢٥٨ . قال أبو حيـــان [٢٤]: (أنْ آتاه) مفعول من أجله ... ثم يذكر وجهاً عن الزمخشري بقولـــــه : وأجـــاز الزمخشري أن يكون التقدير : حاجّ وَقْتَ أن آتاه الله الملك، قال ويعلّق قـــائلاً: فإن عَنَى أنَّ ذلك على حذف مضاف فيمكن ذلك، على أن فيه بُعداً من جهـــة أنَّ المحاجة لم تقع وقت أنْ آتاه الله الملك، إلا أنه يجوز في الوقت، فلا يحمل علـــى

ما يقتضيه الظاهر من أنه وقت ابتداء إيتاء الله الملك له... وإن عنى أنَّ (أنْ) والفعل وقعت موضع المصدر الواقع موقع ظرف الزمان فلا يجوز ذلك.

قال تعالى : ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ آل عمران: ٢٠.

قال أبو حيان[٢٥] : قيل : (مَنْ) في موضع رفع، ونَقَلَ عن الزمخشري وابن عطية أنه معطوف على الفاعل في (أسلمتُ)... ورد هذا التوجيه وجَعَلَه معطوفاً على ضمير محذوف منه المفعولُ لا مُشارِكٌ في مفعول (أسلمتُ)، والتقدير: ومن اتبعني وجهُهُ أو أنَّه مبتدأ محذوف الخبر لدلالة المعنى عليه، والتقدير : ومَنِ اتبّعني كذلك.

أما **الصورة الثالثة** فمن شواهدها ما جاء في تحليله الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ **البقرة** ٤٢، قال [٢٦]: ومفعول (تعلمون) محذوف اقتصاراً؛ إذ المقصود: وأنتم من ذوي العلم، فلا يناسب من كان عالماً أنْ يكتُم الحقّ ويلبسه بالباطل، وقد قدروا حذفه حذف اختصار، وفيه أقاويل ستة... وذكر أبو حيان هذه الأقاويل، ومنها ما نقله عن الزمخشري وابن عطية، ثم قال : والأظهر من هذه الأقاويل ما قدَّمناه أولاً...

وقرئ في السَّبْع: (لا تعبدون) بالتاء والياء في **قوله تعالى** : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ **البقرة** : ٨٣.

ذكر في توجيه هذه القراءة ثمانية وجوه [٢٧]، وانظر إلى محاكمة هذه الوجوه:

الأول : أنّ (لا يعبدون) جملة منفية في موضع الحال من (بني إسرائيل)، وهو حال من المضاف إليه. قال أبو حيان : ولا يجوز على الصحيح.

الثاني : أن تكون الجملة جواباً لقسم محذوف دلّ عليه قوله: (أخذنا ميثاق بني إسرائيل)، ونُسِب إلى سيبويه وأجازه الكسائي والفراء والمبرد.

الثالث : أن تكون (أنْ) محذوفة، وتكون (أنْ) وما بعدها محمولاً على إضمار حرف جر، التقدير : بأن لا تعبدوا إلا الله، فحذف حرف الجر، ثم حذف بعد ذلك (أنْ) فارتفع الفعل فصار لا تعبدون، قاله الأخفش .

الرابع : أن يكون التقدير : أنْ لا تعبدوا، فحذف أنْ وارتفع الفعل، ويكون ذلك في موضع نصب على البدل من قوله (ميثاق بني إسرائيل) وفي هذا الوجه ما في الذي قبله من أن الصحيح عدم اقتياس ذلك، أعني حذف (أن) ورفع الفعل ونصبه.

الخامس : أن تكون محكية بحال محذوفة، أي قائلين لا تعبدون إلا الله، ويكون إذ ذاك لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي، أي : قائلين لهم لا تعبدوا إلا الله، قاله الفراء.

السادس : أن يكون المحذوف القول أي : وقلنا لهم لا تعبدون إلا الله، وهو نفي في معنى النهي أيضاً.

السابع : أن يكون التقدير : أن لا تعبدون وتكون (أنْ) مفسرة لمضمون الجملة؛ لأن في قوله (أخذنا ميثاق بني إسرائيل) معنى القول، فحذف (أنْ) المفسرة وأبقى المفسر، وفي جواز (أن) المفسرة نظر.

الثامن : أن تكون الجملة تفسيرية فلا موضع لها من الإعراب، وذلك أنه لما ذكر أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل كان في ذلك إيهام للميثاق ما هو ؟ فأتى بهذه الجملة مفسرة للميثاق.

وبيِّن مما سبق أن أبا حيان يأخذ ببعض الوجوه ويضعف غيرها، ويصف ما اختاره بأنه حَسَنٌ أو يذكره ولا يصفه بقوة أو ضعف؛ مما يدل على مقدرته وتمكنه من الصناعة النحوية.

ب- إجازة وجْهٍ واحد :

وهو – هنا – يعرض وجوهاً ثمّ يردُّها جميعاً عـــدا واحـــداً يرتضيـــه، وأغلب الوجوه التي يرتضيها تكون صادرةً عنه وتمثِّلُ اختياراته (٢٨).

وقد كان مهتمًّا بعرض أقوال العلماء في إعراب القرآن الكريم ومناقشتها، ولعلّ أكثرهم وروداً عنده هو الزمخشري؛ الذي كان ينهج نهج الرأي والتـــأويل في التفسير، ومن الطبيعيّ أن يتصدّى له أبو حيان، وهو رأس الاتجاه الظاهريّ الملتزم الذي يعدُّ ظاهر اللغة والصناعة النحوية الأساس الأول عنده في الفـــهم والتفسير؛ ولذا كان يعارضه كلّما وجده يحيد عن أمر الصناعـــة النحويـــة، أو يخالف عنها، أو يحاول بثَّ مذهبه الاعتزالي.

ويلي الزمخشريَّ ابن عطيّة ثم أبو البقاء العكبريّ ثم الحوفيّ، ثـــم نحـــاة مختلفون، مثل : سيبويه والفراء والأخفش وابن مالك والفارســـيّ... وغـــيرهم كثير. ومن شواهد هذا الضرب من الإجازة ما جاء في مســـألة "الفصـــل بيـــن المتضايفين" فجمهور البصريين يمنعونها، ولا يجيزون ذلك إلا فـــي ضـــرورة الشعر، وأجازها أبو حيان وغيره، وقال : ولا التفات إلى ما قاله ابـــن عطيـــة والزمخشري وغيرهما (٢٩).

وفي مسألة "وقوع الجملة فاعلاً" بَسَط آراء ثلاثة في جواز ذلك، ثم قال : والصحيح المنع مطلقاً (٣٠).

وفي مسألة اشتقاق لفظ الجلالة (الله) يَنْقُل عن بعضهم أن (أل) فـــي (الله) من نفس الكلمة، ويرفض أبو حيان ذلك فيقول : وهو خطأ؛ لأن وزنـــه إذْ ذاك يكون (فَعالاً) وامتناع تنوينه لا موجب له؛ فدلّ على أن (أل) حرف داخل علـــى الكلمة سقط لأجلها التنوين (٣١).

والفاء فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ البقرة : ١٧، عاطفة جملة الشرط علـــى

جملة الصلة عنده، ورد ما عدا هذا الوجه قائلاً: ومن زعم أنـــها دخلــت لمــا تضمنته الصلة من الشرط وقدره : إن استوقد، فهو فاسد من وجوه... وذكر هذه الوجوه في موضع سابق (٣٢).

الأصول والضوابط
في تَشَكُّل الوجه النَّحويّ عنده

يقوم النَّحو العربيُّ على قوانين وقواعد مستنبطة مـــن كـــلام العـــرب، ومحكومة بضوابطٍ اعتمدها النحاة في تفسير الظاهرة اللغوية وتحليلها، وتتضـــح مكونات المنهج الذي قام عليه عملهم في ثلاثة أصول، هي : السماع والقيـــاس والتعليل .

وترتبط هذه المكونات الثلاثة بضوابط احتاج إليها النحاة عندما شَـــرَعوا في تفسير نظام اللغة وتحليل تراكيبها، وتتمثل هذه الضوابط فـــي المفـــهومات النظرية التي كان لها دورٌ كبيرٌ في معرفة صُوَرِ العلائق بيـــن العنـــاصر فـــي التراكيب، من حيث: تواؤمها وتوافقها، ومعرفة الأحكام التي تُوجِّهها. ونســتطيع أنْ نمثِّل لأهمّ هذه الضوابط بقضايا: الأصل، والمعنى، وآراء النحاة واجتهاداتهم المختلفة. ويبدو أن هذه الأصول والضوابط متداخلة، يعتمد بعضها على بعضها، ويأخذ بعضها من نتاج بعض، ويصعب فصلها في الأعمّ الأغلـــب إلا لغايـــات الدراسة. وأهم الأصول والضوابط التي اعتدّ بها أبو حيّان في تشـــكل الوجـــه النحويّ عنده تتمثّل في :

أ- الاعتداد بالسماع

يُعدّ السماع الأساس الأول الذي أقام عليه أبو حيان تشكّل الوجه النحـــويّ أو اختياره؛ فهو يستعين به في تسويغ وجه أو ترجيحه أو رفضه أو تضعيفـــه، ومُثُل ذلك: ما جاء في مسألة وقوع الماضي حالاً دون (قد)، فقد اختار أبو حيان

مذهب الكوفيين والأخفش، محتجًّا بكثرة ورود ذلك في لسان العرب كثرةً توجب القياس عليه[٣٣].

وفي جواز توسّط خبر (ليس) بينها وبين اسمها يختار مذهب الجمهور، محتجًّا بقراءة متواترة، وبورود ذلك في كلام العرب؛ كقول السموءَل [٣٤]:

سلي إنْ جَهلْت الناسَ عنّا وعنهمُ   وليس سواءً عالمٌ وجَهولُ

واختلف المعربون في إعراب قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة : ٨٥، واختار أبو حيّان أن (أنتم) مبتدأ و (هؤلاء) خبره، و (تقتلون) في موضع الحال، واحتج بقول العرب : ها أنت ذا قائماً، وها أنا ذا قائماً ... [٣٥].

وأجاز البصريون وسيبويه تقدُّم خبر (ليس) عليها احتجاجاً بتقدُّم معمول الخبر (يوم) على (ليس) في قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ هود: ٨.

وذهب الكوفيون والمبرد إلى أنه لا يجوز ذلك. وعلق أبو حيّان[٣٦]: وقد تتبعتُ جملةً من دواوين العرب فلم أظفر بتقدُّم خبر (ليس) عليها، ولا بمعموله إلا ما دلّ عليه ظاهر هذه الآية، وقول الشاعر :

فيأبى فما يزداد إلاّ لَجَاجةً   وكنتُ أبيًّا في الخفَا لستُ أُقْدِمُ

وقد يأتي السماع عنده مع أسس أخرى يُقيم عليها تشكُّل الوجه النحويّ، ومن ذلك ما ذكره من وجوه عن غيره في فاعل (تَقَطَّع) في قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأنعام : ٩٤، فيرفض هذه الوجوه جميعاً، ويرى أن المسألة من باب الإعمال (أي التنازع)، تسلط على

(ما كنتم تزعمون) : (تقطّع) و(ضلّ)، فأعمل الثاني وهو (ضل) وأضمر في (تقطع) ضمير (ما) الأصنام، فالمعنى: لقد تقطع بينكم ما كنتم تزعمون وضلوا عنكم، كما قال تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ البقرة : ١٦٦، أي لم يبق اتصال بينكم وبين ما كنتم تزعمون أنهم شركاء فعبدتموهم. قال أبو حيان : وهذا إعراب سهل لم ينتبه له أحد[٣٧].

ب- الاعتداد بالقياس

وموقفه من القياس أنّه كان يأخُذُ به ولا يُلغيه، لكنّه لم يكن يُطلِقه كما فعل الكوفيون، وإنما كان يقيس على ما ورد به السماع ، "أو بعبارة أوضح لم يعتدّ به إلا عند الضرورة أو للاستئناس به" [٣٨].

وشواهد ذلك كثيرة، منها أنه اختار مذهب الكوفيين في مسألة العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار؛ لكثرته – كما قال – في لسان العرب، فساغ القياس عليه [٣٩].

ومن النادر أن يأخذ بقياس لم يرد به سماع، من ذلك ما جاء في تحليله قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ ﴾ البقرة : ٢١٣، فقد ذهب بعضهم إلى أن قوله : (من بعد ما جاءتهم) متَعلِّقٌ بـ (اختلف)، و(بغياً) منصوب بـ (اختلف)؛ وردّه أبو حيان لأن ذلك يؤدي إلى أن أداة الاستثناء استثنى بها شيئان دون الأول من غير عطف؛ قال [٤٠]:" وهو لا يجوز؛ لأن (إلا) هي من حيث المعنى معدّية، ولولا (إلا) لما جاز للاسم بعدها أن يتعلق بما قبلها، فهي كواو (مع) وكالهمزة التي جعلت للتعدية في بنية الفعل، فكما أنه لا تعدى واو (مع) ولا الهمزة لغير مطلوبها الأول إلا بحرف عطف، فكذلك (إلا)".

ويتضافر مع القياس أصول وضوابط أخرى في تشكل الوجه النحويّ لديه أو في رفضه وجهاً من الوجوه، كالسماع، أو المعنى، أو الاعتداد بالأصل، وقد

تكون قواعد توجيهية تتعلق بقضايا النظام التركيبي عامة [٤١]؛ ومن ذلك ما جاء في مسألة : متى تقع الجملة نائب فاعل؟ فقد ذهب الزمخشري إلى جواز مجيء نائب الفاعل جملة، وجعل ذلك من باب الإسناد اللفظي، وردّه أبو حيان وجعله من باب الإسناد المعنوي، قال : فلم يجعله من باب الإسناد إلى معنى الجملة، لأن ذلك لا يجوز على مذهب جمهور البصريين، فعدل إلى الإسناد اللفظي، وهو الذي لا يختصّ به الاسم، بل يوجد في الاسم والفعل والحرف والجملة، وإذا أمكن الإسناد المعنوي لم يُعدل إلى الإسناد اللفظي [٤٢].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في تحليل قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ البقرة : ٢٢، قال: "وأَبْعَدُ من جَعَل (منْ) زائدة، وجعل الألف واللام للاستغراق" ووجّه المسألة اعتماداً على قياسٍ قائمٍ على سماع، وعلى المعنى. أما القياس فزيادة (مَنْ) في الواجب، وهذا لا يقول به أحد إلا الأخفش، أما المعنى فقال أبو حيان [٤٣]: إنه يلزم منه أن تكون جميع الثمرات رزقاً لنا، وكم من شجرة أثمرت شيئاً لا يُمكن أن يكون رزقاً لنا، وإن كانت (مِنْ) للتبعيض كان بعض الثمار رزقاً لنا، وبعضها لا يكون رزقاً لنا، وهو الواقع.

ومثل هذا كثير [٤٤] ؛ ومنه نفهم أن عملية القياس كانت مقنعة إذا كان الأساس الذي أقام عليه تحليله هو المعنى .

جـ- الاعتداد بالمعنى

كان المعنى، بصوره المختلفة، من أهمِّ الضوابط والمصادر التي اعتمدها النُّحاة في معالجة الظاهرة النحويّة وتفسيرها، وفي ربْط مقولاتهم النَّحوية وردِّها إلى أُصول معنويّة تقف وراء تباين الأنماط اللغوية، كما كان الاحتكام إليه يتقدَّم على غيره من الأصول والضوابط.

والعناصر التي تُشَكِّل المعنى متنوعة ومتشابكة، ومعرفة هذه العناصر يَسْتَتْبِع دراسة كلّ المعطيات اللغوية المتعلقة بالنصّ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يُولِّدها الاستعمال في السيّاق، وتشمل هذه المعطيات :

أ- المتكلم والمخاطب المتلقي : معتقداتهما ومقاصدهما وتكوينهما الثقافي والمعرفي... .

ب- السِّياقُ ببُعْديه : الداخليّ ممثّلاً بعناصره المكونة وما تشتمل عليه من ملاحظ دلاليّة وقرائن لفظية ومعنوية، والخارجي بما يكتنفهُ من ظروفٍ مكانيةٍ وزمانيةٍ وظواهر اجتماعية مرتبطة باللغة.

وتُسهم معطيات السياق، بنوعيه، في تكوين أنماط من التراكيب تتباين دلالاتها وتتعدّد وفقاً لفهم المتلقي لها، وهي ذاتها، أي المعطيات، تكون ضوابط صالحة، ويعتمد عليها في توجيه الظاهرة اللغوية وتفسيرها.

ولعلّ المعنى وقضاياه كان أكثر حضوراً من غيره من الضوابط عند أبي حيّان[٤٥]، يستعين به في : اختيار وجْهٍ أو ترجيحه أو تضعيفه أو ردِّه ورفضه، وأكثر ما جاء ذلك في الوجوه الإعرابية، وهي كثيرة جداً، ومنها :

- ذهب أبو حيان إلى أنّ (ما) في قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ البقرة: ٣ ، موصولة، وقال [٤٦]:" وأبْعَدَ من جعل (ما) نكرة موصوفة وقدَّر: ومن شيءٍ رزقناهموه؛ لضعف المعنى بعد عموم المرزوق الذي يُنفق منه، فلا يكون فيه ذلك التّمدُّح الذي يحصل بجعل (ما) موصولة لعمومها".

- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ البقرة : ٦٢، قال[٤٧]: واتفق المعربون والمفسرون على أن الجملة من قوله (مَنْ آمن) في موضع خبر (إنّ) إذا كان (مَنْ) مبتدأ، وأن الرابط محذوف تقديره : مَنْ آمن منهم، ولا يتم ما قالوه إلا على تغاير الإيمانين، أعني الذي هو صلة (الذين) والذي هو صلة (مَنْ) إما في

التعليق، أو في الزمان، أو في الإنشاء والاستدامة، وأما إذا لم يتغايرا فلا يتم ذلك لأنه يصير المعنى أن الذين آمنوا من آمن منهم ومن كانوا مؤمنين، لا يقال من آمن إلا على التغاير بين الإيمانين. وذهب بعض الناس إلى أن ذلك على الحذف، وأن التقدير إن الذين آمنوا لهم أجرهم عند ربهم، والذين هادوا والصائبين والنصارى من آمن منهم: أي : من الأصناف الثلاثة فلهم أجرهم، وذلك لمّا لم يصلح أن يكون عنده من آمن خبراً عن الذين آمنوا ومن بعدهم.

- وإلى جانب عناصر السياق الداخلي وعناصر الدلالة في الوظيفة النحوية يستعين أبو حيان بالسياق الخارجي وعناصره المشكلة للوجه النحوي عنده أو رده، ومن ذلك ما جاء في تحليله قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ البقرة : ٨، قال [٤٨]: (مَنْ) نكرة موصوفة مبتدأ، والخبر الجار والمجرور، و(يقول) صفة... هذا اختيار أبي البقاء العكبري، وجوّز الزمخشري أن تكون (مَنْ) موصولة ... واستضعف أبو البقاء كون (مَنْ) موصولة؛ وعلّق أبو حيان قائلاً : وزعمه أن المعنى تكون للعهد و(من) نكرة موصوفة فلا تلازم بين ما ذكره، وأما استضعاف أبي البقاء كون (مَنْ) موصولة وزعمه أن المعنى على الإبهام فغير مسلَّم، بل المعنى أنها نزلت في ناس بأعيانهم معروفين، وهم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، ومن وافقه من غير أصحابه ممن أظهر الإسلام وأبطن الكفر، وقد وصفهم الله تعالى في ثلاث عشرة آية وذكر عنهم أقاويل معينة قالوها، فلا يكون ذلك صادراً إلا من معيَّن فأخبر عن ذلك المعيَّن، والذي نختار أن تكون (من) موصولة، وإنمّا اخترنا ذلك لأنه الراجح من حيث المعنى، ومن حيث التركيب الفصيح.

- ولكنَّ اعتداد أبي حيّان بمعطيات السياق الخارجي أقل بكثير من اعتداده بمعطيات السياق الداخلي؛ وهذا يتفق مع نزعته الظاهرية التي يلهج بها كثيراً على امتداد البحر؛ ولذا – مثلاً – نجده في قوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ

ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ النساء : ٢٤، يرفض إعرابه مفعولاً لأجله على تقدير مضاف كما ذهب إلى ذلك الزمخشري وقدره بـ : بيّن لكم ما يحل وما يحرم إرادةَ أن يكون ابتغاؤكم بأموالكم... وعلّق أبو حيان قائلاً: وانظر إلى جعجعة هذه الألفاظ وكثرتها وتحميل لفظ القرآن ما لا يدل عليه وتفسير الواضح الجليّ باللفظ المعقد ودسّ مذهب الاعتزال دسّاً خفيفاً؛ إذ فسّر قوله (وأحل لكم) بمعنى : بيَّن لكم ما يحِل، وجعل قوله (أن تبتغوا) على حذف مضافين، أي : إرادة أن يكون ابتغاؤكم، أي: إرادة كون ابتغائكم بأموالكم... وظاهر الآية غير هذا الذي فهمه الزمخشري، إذ الظاهر أنه تعالى أحلّ لنا ابتغاء ما سوى المحرمات السابق ذكرها... وعلى هذا الظاهر لا يجوز أن يعرب (أن تبتغوا) مفعولاً له ... .

وكان أبو حيان قد أعرب هذا المصدر على أنه بدل اشتمال من (ما) في (ما وراء ذلكم)، ويشمل الابتغاء بالمال النكاح والشراء [٤٩].

وقضايا المعنى معقدة متشابكة لا تجلوها هذه العجالة، وإنّما تحتاج إلى بسط وتفصيل ليس هذا موضعه، وإنما ذكرنا شواهد تنسجم مع ما نحن فيه.

د- الاعتداد بالأصل

يأتي الاعتداد بالأصل ضابطاً آخر في تشكُّل الوجه النحويّ عنده، يعتدُّ به كغيره من الضوابط في توجيه الظاهرة النحوية وتخريجها، وما الأبواب النّحوية، بقيودها الصرفية والنّحوية والدلالية، إلاّ أصول بنى عليها النحاة تفسيرهم، وكل قيد في حدّ الباب يُعدُّ أصلاً، وهو صالح عند أَمْن اللَّبْس، لأن يُعدل التركيب عنه إلى أنماط فرعيّة [٥٠]، فالجملة لا تبدو دائماً على نمط تركيبيّ واحد، فإذا لم يتوافق التركيب الظاهر مع هذه الأصول، بسبب عدول

فيه، ردّوه إلى أصله إما طلباً للاطراد المحكم في القاعدة وإما حرصاً على اللغة في مستواها العادي المألوف الموصل إلى فهمها وتعلمها.

وقد يأتي الأصل بصيغة قاعدة توجيهيّة ترافق عملية التفسير أو التأويل أو التقدير، من مثل قولهم: الأصل عدم التقديم، التركيب خلاف الأصل، الأصل عدم الحذف... ونحو ذلك.

ومن شواهد اعتداده بهذا الأصل :

- جوّزوا في (ما) في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ البقرة : ١٩٨، أن تكون مصدرية وأن تكون كافة للكاف عن العمل، قال أبو حيان [٥١]: والفرق بينهما أن (ما) المصدرية تكون هي وما بعدها في موضع جرّ؛ إذ ينسبك منها مع الفعل مصدر، والكافة لا يكون ذلك فيها، إذ لا عمل لها ألبتة، والأولى حملها على أن (ما) مصدرية؛ لإقرار الكاف على ما استقر لها من عمل الجر (أي في الأصل) .

- ذهب الأخفش إلى القول بزيادة (أنْ) الناصبة، قال أبو حيان [٥٢]:"... وليس بشيء؛ لأن الزيادة والحذف على خلاف الأصل، ولا نذهب إليهما إلا لضرورة".

- وكسر الكسائي همزة (أن) في قوله تعالى : قال تعالى : ﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ آل عمران : ١٧١، قال[٥٣]: على الاستئناف، ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود ومصحفه (والله لا يضيع أجر) ونقل عن الزمخشري قوله :"وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي" ورد أبو حيان قائلاً[٥٤]: وليست الجملة – هنا – اعتراضاً؛ لأنّها لم تدخل بين شيئين أحدهما يتعلّق بالآخر، وإنما جاءت لاستئناف أخبار.

- قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ البقرة : ٦٨. قال[٥٥]:(لا فارض) صفة البقرة... ومن قدّر مبتدأ محذوفاً، أي :

هي لا فارض ولا بكر؛ فقد أبعد؛ لأنّ الأصل الوصف بالمفرد، والأصل أن لا حذف.

خصائصه المنهجيّة

يتبيّن مما سبق أنّ الأصول والضوابط التي انطلق منها أبو حيّان في تحليله كانت متنوّعة، وقد ظهرت بعض خصائصه المنهجيّة في ذلك، وتقوم هذه الخصائص على أنه :

- كان يستقصي الظاهرة التي عالجها، ويتجلّى ذلك في كثرة النقول وتعدّد الأوجه التي يَتَتَبَّعُها واحدةً واحدةً؛ مما يجعل تحليله أكثر غنىً من غيره، وتجد هذا واضحاً في كل مسألة يتناولها، من ذلك مثلاً، تحليله **قوله تعالى** : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ **الحج** : ٦٣ فيذكر أوّلاً أنّه تعالى ذكر في الآيات السابقة ما دلّ على قدرته مِن إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل... ثم ذكر، سبحانه، ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي، وهو نزول المطر وإنبات الأرض... ثم ينتقل إلى توجيه رفع (فتصبحُ) فينقل أولاً عن الزمخشري[٥٦]، وابن عطية [٥٧]، وسيبويه [٥٨]، ثم يورد قول ابن خروف (٦٠٩هـ) الموضّح كلام سيبويه المفسِّر له، فبعض شُرّاح الكتاب، فالفراء [٥٩]، ثم يُعقِّب أبو حيان على كُلّ نَقْلٍ نَقْلَهُ في المسألة، وهي سمة انماز بها في استقصائه، ويخلص إلى القول : ... فيلزم من هذا الذي قررناه إثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار، وهو خلاف المقصود، وأيضاً فإن جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزاء... وهنا لا يتقدّر : إنْ تَرَ إنزال المطر تُصبِحْ الأرض مخضرة؛ لأن اخضرارها ليس مترتباً على علمك أو رؤيتك، إنما هو مترتب على الإنزال، وإنّما عبّر بالمضارع؛ لأن فيه تصويراً للهيئة التي الأرض عليها والحالةِ التي لا بست الأرضَ، والماضي يفيد انقطاع الشيء[٦٠].

وواضح من هذا التحليل سطوة النزعة النقلية ومتابعة النحاة في المسألة الواحدة؛ فإنه يحرص على محاكمة ما ينقلُهُ وصولاً إلى رأي يرتضيه، معتداً ومعتمداً على مقدرته النحوية وتَبَحُّره في صناعتها .

ومما يدل على هذه المقدرة أنّه لم يترك نحوياً أو مُعْرِباً أو مفسراً إلاّ حاوره، كما أسلفنا.

-كانَ يبتعد عن التكلُّف والتمحُّل والتعقيد، ويتجنّب العلل؛ ولذا كان يصرف نظره عن أعاريب القرآن المتكلّفة وكان يَحْمِله على أفصح الوجوه وأحسنها، ولا يحمله على الشاذ والقليل والنادر، وقد صرّح بذلك في مواضع متفرقة من بحره المحيط [٦١]. كما نراه لا يصير إلى التأويل أو الإضمار أو الحذف أو التقديم والتأخير، مع إمكان حمل الشيء على ظاهره؛ ولذا كان يعيب على الزمخشري وابن عطية والفارسي... وغيرهم، بعض تقاديرهم لأنها متكلّفة "فيها تفكيك للكلام وسلوك به غير ما تقتضيه الفصاحة" [٦٢] ويغلو في ذلك فيصفها بأنها "تقارير أعجمية، بعيدة عن البلاغة، لا تناسب كتاب الله" [٦٣].

وبذا يمكن القول "إنّ أبا حيان سهّل النحو ويسَّر موضوعاته فجعله سهل التناول والمأخذ، قريباً إلى النفس، لا تَمَلُّ منه، وإنّما ترغب فيه وتأنس به وتلتذُّ بِتَتَبُّع موضوعاته وتفصيلاته "[٦٤].

- ورغم تميُّزه وتفوُّقه في الصناعة النَّحْوية نجد له أحياناً موقفين متناقضَيْن في المسألة الواحدة، ويطالعنا هذا الأمر في غير موضع من البحر، من ذلك ما جاء في المسائل التالية [٦٥]:

- (إنّما) : دلالتها على الحصر وعدمه.
- (أنْ) التفسيرية : أثبته في موضع ومنعه في موضع آخر.
- الفصل بين المتعاطفين : لا يجوّزه في موضع، ويأخذ به في موضع آخر.
- (مِنْ) لبيان الجنس: أثبته في مواضع كثيرة، ومنعه في أخرى.
- التضمين : ينقاس أو لا ينقاس.

- وقوع الاستثناء المفرغ في الموجب: لم يجوزه في موضع وجوزه في موضع آخر .
- (ما) : منع أن تجيء نكرة موصوفة في مواضع، وجوزه في مواضع أخرى.
- (ثُمّ) : أثبت لها الزمخشري معنى الاستبعاد، وأنكره أبو حيان في مواضع، وسَكَتَ عنه في اخرى.

وقد عدَّ بعض المحدثين ذلك اضطراباً في منهجه (٦٦)، والتمس بعضهم له عذراً في ذلك مؤداه أنّ أبا حيّان كان يعدلُ عمّا اختاره إلى المذهب الآخر "مراعاة لسياق الكلام وقرائن الأحوال وخشية التمّحل والتكلف" (٦٧) لكنه لم يوضح ذلك.

ملامح نَحْو النصّ عند أبي حيّان

اهتم علماء المسلمين بالنصّ القرآنيّ اهتماماً كبيراً؛ فقد انشدّت إليه دراساتهم تفسيراً وتحليلاً، وصولاً إلى استخراج الأصول التي تنظم حياتهم، ومعرفة معنى منطوقةِ ومفهومه بغيةَ إظهار إعجازه وأسرار تراكيبه.

وقد عُني المفسرون بخاصّة، إلى جانب عنايتهم بفهم معانيه وإعجازه، باتساق نصّه وتآخذ آياته وسوره.

واتساق النصّ وانسجامه يَحْتلُ موقعاً مُهمّاً في نحو النصّ ومجالات تحليله في اللسانيات الحديثة، فهل يُمكن أن نجد في تفسير البحر المحيط، المرتبط بالممارسات النّصيّة المتمثلة أساساً في تفسير القرآن الكريم وتحليل تراكيبه وإعرابه؛ إسهاماتٍ قابلة لأن تُدرج في نحو النصّ ولسانياته بصفة عامّة؟

حقاً أنّه يَظَلُّ لـ "نحو الجملة" الاهتمام الأوّل في البحر، لكننّا نجد إلى جانب ذلك نشاطاً يرتبط بالنصّ القرآني تذوقاً وفهماً وتحليلاً وتفسيراً، شأنه في

ذلك شأن كتب التفسير الأخرى، وبخاصة ما نجده في "كشاف" الزمخشري الذي كان أبو حيان يأخذ عنه كثيراً؛ وهذا يدفعنا إلى القول بأنّ النشاط اللغوي العربي القديم ينقسم إلى : نحو الجملة الذي تُمثّله في الأكثر أعمال النحويين والبلاغيين، ونحو النصّ الذي احتل موقعاً مُهِمًّا في أعمال المفسرين الذين اشتملت على كثير من القضايا التي تصلح أن تكون مدخلاً لنحو النصّ، وهاك أهم هذه القضايا في تفسير البحر المحيط:

السياق الخارجي

ألحّ المفسرون على اللجوء إلى السياق الخارجي المتمثل في معرفة أسباب النزول وما في إطاره في الآيات القرآنية، ومراعاة النّظم الذي سبق له الكلام؛ وفي هذا يقول أبو حيان (٦٨): " ... ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب نزول".

ويقول في حدّ التفسير (٦٩):"التفسير علم يُبْحث فيه عن كيفية النُّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمّات لذلك" ويوضّح عناصر هذا الحد فيقول في معنى "وتتمّات لذلك" : "وقولنا" وتتمات لذلك" هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضّح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك" .

السياق الداخليّ

كان أبو حيان يقسّم السورة إلى طوائف وزمر من الآيات، ثم يشرع بالحديث عنها من جانب اللغة والاشتقاق، حتى إذا ما انتهى من ذلك ذكر أوّلاً مناسبة اتصالها بما قبلها تنصيصاً، ثم ذكر إعرابها وعلومها الأخرى.

وغاية "علم المناسبة" عند المفسرين معرفة الاتساق والارتباط بين الآية والآية، أو بين السورة والسورة" (٧٠).

لقد تَبَدّى لنا أنّ الوسائل أو العبارات الشارحة التي يَتّسِقُ بها النصّ، وفقـاً لما وقفنا عليه في البحر المحيط تتمثل في :

١ – العطف

تمثّل أبو حيّان أهمية العطف في ترابط النصّ واتساقه، ومن أمثلة ذلك ما قاله في **قوله تعــالى :** ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ **المائدة : ١١٣.**

قال [٧١]: وأتت هذه المعاطيف مرتبة ترتيباً لطيفاً؛ وذلك أنهم لا يـأكلون منها إلاّ بعد مُعاينة نزولها، فيجتمع على العلم بها: حاسة الرؤية، وحاسة الذوق، فبذلك يزول عن القلب قلق الاضطراب، ويسكن إلى ما عاينه الإنسان وذاقـــه، وباطمئنان القلب يحصل العلم الضروري بصدق مَنْ كانت المعجزة على يديــه؛ إذ جاءت طبق من سأل وسألوا هذا المعجز العظيم، لأن تأثيره في العالم العلوي بدعاء من هو في العالم الأرضي أقوى وأغرب من تأثير مَنْ هو فــــي العـــالم الأرضي في عالمه الأرضي، ألا ترى أن من أعظم معجـــزات رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – القرآن، وانشقاق القمر، وهما من العـــالم العلـوي، وإذا حصل عندهم العلم الضروري بصدق عيسى (عليه السلام)، شهدوا شهادة يقيـــن لا يختلج بها ظن ولا شك ولا وهم، وبذكرهم هذه الأسباب الحاملة على طلــــب المائدة يترجح قول من قال : كان سؤالهم ذلـــك قبـــل علمـــهم بآيـــات عيســـى ومعجزاته، وأن وحي الله إليهم بالإيمان كان في صدر الأمر، وعند ذلك قـــالوا هذه المقالة ثم آمنوا، ورأوا الآيات، واستمروا وصبروا.

ويظهر أيضاً أثر العطف في التئام النصّ واتساقه واضحاً أيضاً وإن بَعُـد المعطوف عليه؛ قال أبو حيان في قوله تعـــالى [٧٢]: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ

أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

البقرة: ١٣٦-١٣٨.

قال : (ونحن له عابدون) متصل بقوله : (آمنا بالله) ومعطـــوف عليـــه. وينقل عن الزمخشري قوله [٧٣]: وهذا العطف يرد قول من زعم أن (صبغة الله) بدل من (ملة) أو نصب على الإغراء، بمعنى : عليكم صبغة الله، لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه.

٢- الإحالة

وأدواتها : الضمائر وأسماء الإشارة، وقد اهتم أبو حيان بحركة الضمـــائر ودلالاتها، اهتماماً كبيراً، فرصد هذه الحركة في الضمير من حيث :

- عَوْدُه على الأقرب والأبعد.
- عوده على المحدث عنه.
- عوده على المضاف.
- عوده على ما لم يَجْرِ له ذكر.
- عوده على معنى اللفظ.
- عوده على المعطوف أو المعطوف عليه بـــ (أو).
- عوده على متعدد[٧٤].

ومنه نقف على أن أبا حيان كان يرصد هذه الحركة مستعيناً بقرائن نحوية وأخرى معنوية، كما يستعين بالمقام، وصولاً إلى تحقيق الاتساق في النظم القرآني، وهذه عباراته الدالة على ذلك:

- ويُحَسّنُه عوده على أقرب مذكور، ولكنّ عوده على المحدث عنهم أظهر والمعنى فيهم أمكن [٧٥].

- ورجوع بعضها إليه فيه هجنة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم[٧٦].

وقد تتعدّد إحالات الضمائر من نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ البقرة : ٩٦.

وقوله : ﴿ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الأنبياء : ٩٧.

فالضمير : (هو) يحتمل عوده على متعدد، وكذا الضمير (هي)، وقد ناقش أبو حيان كل احتمالات العود في الآيتين الكريمتين، واختار منها ما يحقق الاتساق في النظم، ورفض ما عداه لأنه "وجه متكلف متنافر التركيب"[٧٧].

ومما يَدلُّ على وعي أبي حيان بحركة الضمائر وأثرها في خلْق دلالات مُرادة في النص ما جاء في تحليله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنعام : ٥٢.

قال [٧٨]: وانظر : إلى حسن اعتنائه تعالى بنبيه، وتشريفه بخطابه، حيث بدأ به في الجملتين معاً، فقال : (ما عليك من حسابهم من شيء) ثم قال (وما من حسابك عليهم من شيء) فقدم خطابه في الجملتين، وكان مقتضى التركيب الأول لو لوحظ، أن يكون التركيب الثاني (وما عليهم من حسابك من شيء) لكنه قدم

خطاب الرسول وأمره، تشريفاً له عليهم، واعتناء بمخاطبته، وفي هاتين الجملتين ردّ العجز على الصدر.

كما اهتم أبو حيّان **بأسماء الإشارة**، من حيث : تعدد المشار إليه، والتطابق بين اسم الإشارة والمشار إليه.

ومن الأوّل قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ البقرة : ١-٢ .

حيث ذَكَرَ وجوهاً في المشار إليه بقوله (ذلك) اختار منها أن يكون المشار إليه الصراط المستقيم في قوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ الفاتحة : ٦؛ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وعقب أبو حيان على هذا الوجه قائلاً : وبهذا الذي ذكر تَبَيَّن وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الحمد (الفاتحة)، وهذا القول أولى؛ لأنَّهُ إشارة إلى شيءٍ سبق ذكره لا إلى شيءٍ لم يَجْرِ له ذكر [(٧٩)].

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ ﴾ البقرة : ١١١، وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ ﴾ الأنعام : ٧٨، فأفرد المبتدأ في الآية الأولى؛ لأنّه كناية عن المقالة، والمقالة مصدر يصلح للقليل والكثير، وجَمَعَ الخبر فطابق من حيث المعنى في الجمعية. وجاء (هذا) مذكراً في قوله : (هذا ربي) مراعاة للخبر(ربِّي) [(٨٠)].

٣- التكرير

لم يكتفِ أبو حيان بذكر التكرير بعدِّه وسيلةً من وسائل الترابط في النصّ، بل اعتنى، أيضاً، بدلالته، ومن ذلك ما جاء في تفسيره للآية الكريمة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة : ٥؛

قال[81]: كرّر (أولئك) ليقع كل خبر منهما في جملة مستقلة، وهو آكد في المدح؛ إذ صار الخبر مبنيّاً على مبتدأ، وهذان الخبران هما نتيجتا الأوصاف السابقة؛ إذْ كانت الأوصاف منها ما هو متعلَّقُهُ أمر الدنيا، ومنها ما هو متعلقه أمر الآخرة، فأخبر عنهم بالتمكن من الهدى في الدنيا وبالفوز في الآخرة، ولما اختلف الخبران، كما ذكرنا، أتى بحرف العطف في المبتدأ، ولو كان الخبر الثاني في معنى الأول لم يدخل العاطف؛ لأن الشيء لا يعطف على نفسه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ الأعراف : ١٧٩، بعد قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ الأعراف : ١٧٩، كيف جاء بغير عاطف لاتفاق الخبريْن اللذَيْن للمبتدأين في المعنى.

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ النمل : ٦١.

قال [82]:"ولما كانت كل واحدة منه عظيمة مستقلةً تكرّر فيها العامل في قوله (وجعل) فكانت من عطف الجمل المستقل كل واحدة منها بالامتنان، ولم يشرك في عامل واحد فيكون من عطف المفردات".

وواضح أنّ أبا حيّان يعتمد على قرينة نحوية، وهي تكرير العامل، في توضيح دلالة التكرير، وفي هذا، أيضاً، دلالة على الوظيفة المزدوجة التي يقوم بها التكرير، وهي الربط أوّلاً، والثانية وظيفة تداولية معبر عنها بامتنانه سبحانه، وهذا مما لا ينبغي إهماله، ولذا جاء قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النمل: ٦١.

وقد تتعدّد دلالات التكرير كما في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ البقرة : ٣٦، ثم قال بعد ذلك : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ البقرة : ٣٨ .

قال أبو حيّان [٨٣]: كرر القول إمّا على سبيل التأكيد المحض؛ لأن سبب الهبوط كان أوّل مخالفة، فكرر تنبيهاً على ذلك، أو لاختلاف متعلقيهما؛ لأنّ الأوّل عُلِّق به العداوة، والثاني عُلِّق بإتيان الهدى، وإمّا لا على سبيل التأكيد، بل هما هبوطان : حقيقة الأول من الجنة إلى السماء، والثاني من السماء إلى الأرض، وضُعِّف هذا الوجه بقوله في الهبوط الأول : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ البقرة : ٣٦، ولم يحصل الاستقرار على هذا التخريج إلا بالهبوط الثاني، فكان ينبغي الاستقرار أن يذكر فيه، وبقوله في الهبوط الثاني (منها).

٤- الربط المعنويّ

من ضمن الوسائل التي اتّكأ عليها أبو حيان في ترابط أجزاء النّصّ بعضها ببعض ما عبّر عنه بالربط المعنوي؛ ففي قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۞ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ ﴾ الرحمن : ١-٦.

قال [٨٤]: "والجمل الأُوَل (أي من ١-٤) فيها ضمير يربطها بالمبتدأ، وأما في هاتين (أي الآيتين : ٥-٦) فاكتُفي بالوصل المعنوي عن الوصل اللفظي؛ إذ معلوم أنّ الحسبان هو حسبانُهُ وأن السجود له لا لغيره، فكأنّه قيل : بِحُسبانه ويسجُدان له. ولما أوردت هذه الجمل مورد تعديد النِّعم رُدَّ الكلام إلى العطف

في وصل ما يُناسب وصله، والتناسبُ الذي بين هاتين الجملتين ظاهر؛ لأن الشمس والقمر علويّان، والنجم والشجر سفليّان".

وقول أبي حيّان "والتناسب" هو مصطلح يلجأ إليه المفسرون حين يجدون انقطاع الصلة بين آيةٍ وآيةٍ أو آياتٍ سابقات؛ كأن تكون الآية السابقة في القصاص، مثلاً، واللاحقة كلاماً في الوصية أو إنفاق الأموال، فعندها يخوضون في البحث عن وسائل الربط بين الآي (٨٥).

٥- التعليق

التعليق الذي نقصده، هنا، هو بيان ارتباط عناصر الكلام بعضها ببعض، أي الوقوف على شبكة العلاقات الداخلية في النصّ بالإفادة من نظرية العامل الذي يُحدِّد مدى انتظام العناصر إليه؛ فيتحقّق بذلك ربط آخرِ الكلام بأوّله. وتُعدُّ هذه الوسيلة، أي التعليق، من أهم الوسائل التي اعتدّ بها أبو حيّان في بيان اتساق النصّ وانسجامه .

ومن ذلك ما جاء في تحليله الآيات الكريمة :

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ ﴾ الجن: ١٩، إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ الجن : ٢٤.

قال (٨٦): (حتى إذا رأوا) : (حتى) هنا حرف ابتداء، أي يصلح أن يجيء بعدها جملة الابتداء والخبر، ومع ذلك فيها معنى الغاية.

ونَقَلَ عن الزمخشري قوله : قال الزمخشري (٨٧): فإن قلت بِــمَ تعلّــق (حتى) وجعل ما بعده غاية له؟ قلت : بقوله (يكونون عليه لبـــداً) علـــى أنـــهم يتظاهرون عليه بالعداوة، ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم (حتى إذا رأوا ما يوعدون) من يوم بدر، وإظهار الله له عليهم، أو من يوم القيامة (فسيعلمون) حينئذٍ أنهم أضعف ناصراً وأقل عدداً .

قال أبو حيان : وقوله : بم تعلّق؟ إن عنى تعلق حرف الجر فليس بصحيح؛ لأنها حرف ابتداء، فما بعدها ليس في موضع جر، وإن عنى بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها، وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح، والذي يظهر لي أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها، من الحكم بكينونة النار لهم، كأنه قيل : إن العاصي يُحْكَمُ له بكينونة النار لهم، والحكم بذلك هو وعيد (حتى إذا رأوا) ما حكم بكينونته (فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً).

وواضح مما سبق أن الزمخشريّ وأبا حيان يحاكمان العلاقات بين العناصر في النصّ اعتماداً على قرائن نحوية وأخرى معنوية وصولاً إلى تحقيق الاتساق بين الآي .

٦- التّناصّ

كثيراً ما كان أبو حيان يعقد موازنة بين نصوص آياتٍ تبدو متشابهة في بعض التبدلات والصيغ اللغوية وفقاً لمقتضيات مقاميّة، وهو ما يُعرف في علم النّقْد بـ "التناصّ".

ومن شواهد ذلك ما جاء في الآية (٥٨) من سورة البقرة، والآية (١٦١) من سورة الأعراف قال أبو حيّان [٨٨]: ذكروا أنَّ في الآية (٥٨ من سورة البقرة) سؤالات:

الأول : قوله هنا (وإذ قلنا) وفي الأعراف (وإذ قيل) وأجيب بأنه صرح بالفاعل في البقرة لإزالة الإبهام وحذف في الأعراف للعلم به في سورة البقرة.

الثاني : قال هنا (ادخلوا) وهناك (اسكنوا) وأجيب بأن الدخول مقدّم على السكنى فذكر الدخول في السورة المتقدّمة والسكنى في المتأخرة.

الثالث : هنا (خطاياكم) وهناك (خطيئاتكم) وأجيب بان الخطايا جمع كثرة فناسب حيث قرن به ما يليق بجوده وهو غفران الكثير والخطيئات جمع قله لما لم يضف ذلك إلى نفسه.

الرابع : ذكر هنا (رغداً) وهناك حذف، وأجيب بالجواب قَبْلُ .

الخامس : هنا قدم دخول الباب على القول وهناك عكس، وأجيب أن الواو للجمع والمخاطبون بهذا مذنبون، فاشتغاله بحطّ الذنب مقدّم على اشتغاله بالعبادة، فكلفوا بقول حطة أولاً ثم بالدخول، وغير مذنبين، فاشتغاله أولاً بالعبادة ثم يذكر التوبة ثانياً على سبيل هضم النفس وإزالة العجب، فلما احتمل الانقسام ذكر حكم كل واحد منهما في سورة بأيهما بدأ.

السادس: إثبات الواو في (وسنزيد) هنا وحذفها هناك، وأجيب بأنه لما تقدم أمران كان المجيء بالواو مؤذناً بأن مجموع الغفران والزيادة جزاء واحد لمجموع الأمرين، وحيث تركت أفاد توزع كل واحد من الأمرين، فالغفران في مقابلة القول والزيادة في مقابلة ادخلوا.

٧- ظواهر مختلفة

من نحو : التقديم والتأخير، والتنوّع في الكلام، والحذف.

أما التقديم والتأخير فنقصد به التقديم والتأخير الأسلوبي المتّصل ببنية التركيب ودلالته؛ فقد رصد أبو حيّان ذلك، كغيره من المفسرين، وبيَّن مقاصده في إطار سياقه، ومن شواهده قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأنعام : ١٥٥.

قال: [٨٩] (هذا) إلى القرآن، و(أنزلناه) و (مبارك) صفتان لـ (كتاب) أو خبر ثان عن (هذا) على مذهب من يجيز تعداد الأخبار وإن لم يكن في معنى خبر واحد. وكان الوصف بالإنزال آكد من الوصف بالبركة فقدّم، لأن الكلام مع من ينكر رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وينكر إنزال الكتب الإلهية، وكونه مباركاً عليهم هو وصف حاصل لهم منه متراخ عن الإنزال؛ فلذلك تأخر الوصف بالبركة وتقدم الوصف بالإنزال.

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ البقرة : ١٣٦.

قال أبو حيان (٩٠): وابتُدئ أوّلاً بالإيمان بالله؛ لأن ذلك أصل الشرائع، وقدّم (وما أنزل إلينا) وإن كان متأخراً في الإنزال عمّا بعده لأنه أوْلى بالذكر؛ لأنّ الناس بعد بعثة محمد، صلى الله عليه وسلم، مدعوون إلى الإيمان بما أنزل إليه جُملةً وتفصيلاً، وقدّم (وما أنزل إلى إبراهيم) على (وما أوتي موسى وعيسى) للتقدّم في الزمان أوّلاً؛ لأن المنزل على موسى ومن ذُكر معه هو المنزل إلى إبراهيم، إذ هم داخلون تحت شريعته.

وواضح مما تقدم أن أبا حيان يَعْتَدُّ بالسيّاق الخارجيّ في توجيه التركيب بقَصْد تبيين انسجامه واتساقه، وهو بعد "تداولي" كما ترى.

وأما **التنوع في الكلام** ونقصد به تنوُّع الصيغ أو تقارُضَها أو تناوبها في الأداء، نحو أن يُؤتَى بصيغة المضارع بدلاً من الماضي، أو بالجملة الاسميّة بدلاً من الفعلية أو بالفعل بدلاً من اسم الفاعل... وكل أولئك إنّما يكون لحاجات مقاميَّة، ليتحقق بذلك التواؤم بين النصّ وسياقه الخارجي ومقتضياته التداوليّة، ومن الشواهد التي رصدها أبو حيان وهي كثيرة جداً، ما جاء في تفسيره الآية السابقة (الآية ١٣٦ من سورة البقرة) قال (٩١): وجاء (وما أنزل إلينا) وجاء (وما أوتي موسى وعيسى) تنويعاً في الكلام وتصرفاً في ألفاظه، وإنْ كان المعنى واحداً؛ إذ لو كان بلفظ الإيتاء أو بلفظ الإنزال لما كان فيه حلاوة التنوع في الألفاظ .

وما جاء في قوله تعالى : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا فَأَحۡيَـٰكُمۡ ﴾ البقرة:٢٨.

قال أبو حيان [٩٢]: وأتى بصيغة (تكفرون) مضارعاً ولم يأت به ماضيــاً وإن كان الكفر قد وقع منهم؛ لأن الذي أنكر أو تعجّب منه الدوام علـــى ذلــك، والمضارع هو المشعر به، ولئلا يكون ذلك توبيخاً لمن وقع منه الكفرُ ثم آمَنَ إذْ لو جاء : كيف كفرتم.

وأما **الحذف** فيقصد به الحذف الأسلوبي أيضاً، أو غير الصناعيّ، علـــى حدّ تعبير ابن هشام الأنصاري[٩٣]، وذلك نحو ما جاء في تفسير قولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ البقرة : ٧.

قال أبو حيان [٩٤]: ومن الحذف في الآية :

- (إن الذين كفروا) أي : إن القوم الذين كفروا بالله وبك وبما جئت به.
- (لا يؤمنون) : لا يؤمنون بالله وبما خبرتهم به عنه.
- (ختم الله على قلوبهم) : فلا تعي وعلى أسماعهم فلا تُصغي.
- (ولهم عذاب عظيم) : أي ولهم يوم القيامة عذاب عظيم دائم...

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ البقرة : ٦٣.

قال[٩٥]: (خذوا ما آتيناكم) هو على إضمار قول، أي: وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم... وقولـــه تعـــالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ البقـــرة ٢٨٦":.

قال[٩٦]: هذا على إضمار القول، أي : قولوا في دعائكم: ربنا لا تؤاخذنا، والدعاء مخ العبادة؛ إذ الداعي يشاهد نفسه في مقام الحاجة والذلـــة والافتقـــار، ويشاهد ربه بعين الاستغناء والإفضال.

هذه أهم الوسائل التي لجأ إليها أبو حيان في إبراز انسجام النص واتساقه، وهي في تقديرنا، تصلح أن تكون مدخلاً لدراسة أشمل تُعني بلسانيات النصّ أو نحو النص. فقد شملت هذه الوسائل مستويات مختلفة، تمثّلت في:

١- المستوى النحوي: العطف، والإحالة (الضمائر وأسماء الإشارة)، التعليق.

٢- المستوى المعجمي: التكرير

٣- المستوى الدلالي: تقسيم النص إلى طوائف وذكر المناسبة بينها، وسائل الربط المعنوي.

٤- المستوى التداولي: السياق الخارجي، التناص، وظواهر مختلفة.

خـاتمة

وهكذا يخلُص هذا البحث، في إطار اهتمامه، إلى جملـة مـن الأمـور، أهَمُّها:

– أظهر البحث أن تفسير البحر المحيط لأبي حيان يُعـدّ مـن ذخـائر التراث، نظراً لسعته وغزارة مادته، وأنه أغنى كُتُب الإعراب القرآني؛ إذ كـان أبو حيّان يتميّز فيه بنقل أقوال العلماء في إعراب القرآن الكريم.

وقد اتسمت كثيرا من الوجوه الإعرابية وغير الإعرابية بالتعدد واختـلاف النحويين والمعربين في توجيه هذه الوجوه، وقد عَرَضَ البحثُ لهذه الوجوه وبَيَّن موقف أبي حيّان منها.

كشف البحث عن سمات أبي حيان المنهجيّة في تحليله، مـن خـلال الأصـول والضوابط التي أقام عليها تشكُّل الوجه النحوي عنده، مفيداً من اطلاعه الواسـع وثقافته الموسوعيّة؛ فقد غلب عليه حُبُّ استقصاء الظاهرة التي يعالجها، ويتجلى ذلك في تتبعه الدقيق للوجه الإعرابي؛ وصولاً إلى رأي يرتضيه : ترجيحـاً أو اختياراً أو ردّاً أو تضعيفاً.

أبان البحث عن أنّ المعنى وقضاياه من أكثر الضوابط حضوراً عند أبي حيـان في تحليله، إلى جانب ضوابط أُخرى؛ وفي هذا دليل على فهمه لوظيفة النَّحْو من أنه ليس مجرد قواعد لضبط حركات الإعراب أو بناء الجمل؛ ولذا نراه يحمـل إعراب القرآن الكريم على أفصح الوجوه وأحسنها، ولا يحمله على الشاذّ والقليل والنادر، وهو يصدُر في هذا عن نزعته الظاهرية التي تأخذ بظاهر النـصّ، ولا يصير إلى التأويل أو الإضمار أو الحذف أو التقديم والتأخير، مع إمكان حمـل الشيء على ظاهره، وكان يعد مخالفة ذلك تكلّفاً وتمّحلاً في معالجـة الظـاهرة النحوية.

- أبرز البحث جانباً مُهمّاً من نظر أبي حيان تجاوز فيه حدود النصّ الذاتية إلى محيطه الخارجيّ، فنَظَرَ، إلى جانب عنايته بفهم معاني القرآن الكريم وإعجازه، في اتّساق نَصِّهِ وتآخُذ آياته وسوره، فسجل أهم الوسائل التي كان يستعين بها أبو حيّان في إبراز هذه الاتساق، مما يَصلُح مَدخلاً لنحو النصّ. وقد رَصَدَ الفصل هذه الوسائل وصنفها في مستويات أربعة هي : المستوى النحوي والمعجمي والدلالي والتداولي.

ويمكن القول : إن منهجَ أبي حيّان في الكتاب وقدرتَهُ على المناقشة والحوار والتحليل وطرائقه وآراءه المبثوثة فيه - تُفضي إلى الجزم بأنه وَقَفَ على كثير من خصائص الظاهرة اللغوية، وإنَّ الانتفاع بهذه الأنظار، التي أظهرها البحث، والتهدّي بكثير من التحليلات يوصل إلى أصولٍ ومبادئ نافعة في التحليل النحوي.

الهوامش

١- لعلّ الدكتورة خديجة الحديثي وَفَتْ بالحديث عن سيرة أبي حيّان في كتابها: "أبو حيّان النحوي" والذي جلّت فيه حياته وآثاره ومنزلته... خير تجلية. ولقب بالنِّفزي نسبة إلى أصله البربريّ.

٢- انظر : أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان،(٧٤٥هـ،١٣٤٤م)، التفسير الكبير المسمىّ بالبحر المحيط، دار الكتاب الإسلامي،ط(٢)، القاهرة، ١٤١٣هـ،١٩٩٢م: ج١ص ٢٠٦، ٤٩٦...

٣- انظر : المقرّي: نفح الطيب في تاريخ الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ج٣ ص ٣٠٣، ٣٠٤. الحديثي، خديجة، أبو حيان، النحوي، منشورات مكتبة النهضة، ط(١)، بغداد، ١٣٨٥هـ،١٩٦٦: ص ٦٩. ، والبحر: ٦/١، ٧، ٩، ١١.

٤- انظر : الحديثي، أبو حيان النحوي: ص ٤٩٩ - ٤٥٧ .

٥- انظر مثلاً :

- المقري، نفح الطيب: ٣٣٨/٣، البحر: ١٦٣/٤، ٤٣٣، ٤٤٤، ٢٧٦/٦، ٤٠٥.

- الحديثي، أبو حيان النحوي : ص ١٠١ - ٢٦١.

وقد ألف في التركية : الإدراك في لسان الأتراك، وزهو الملك في نحو الترك... وفي الفارسية : مُنْطق الخُرْس في لسان الفرس، وفي الحبشية: جلاء الغبش في لسان الحبش. انظر : نفح الطيب : ٣٠٧/٣، والبحر: ١٦٣/٤.

٦- ويقع في (٨) أجزاء كبيرة، وبهامشه: تفسير النهر الماد من البحر ، لأبي حيان نفسه، وهو مختصر للبحر، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط، لتلميذه تاج الدين الحنفي النحوي ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ).

٧- البحر: ٣/١، ٦.

٨- انظر : البحــر: ٦/١-١١، ٢٠، ١٨٩، ٢٧٧، ٣١٥، ٨٧/٢، ١٢٨، ٤٢٩...
وقد رَصَد الباحث محمد خان في أطروحته للدكتوراه "الدراسات اللغوية وقيمتــها في تفسير البحر المحيط - مجال الأصوات"، رسالة دكتوزاة، جامعة الجزائــر، معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، ١٤١٦هــ، ١٩٩٦م - مصادر البحر التي وردت في مختلف أجزاء الكتاب، انظر الأطروحة: ص ١٨-٢٠، وانظر أيضاً: الحديثي، أبو حيان النحوي : ص ١٩٤ - ١٩٧..

٩- عضيمة، محمد عبدالخالق، " أبو حيان وبحره المحيط"، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع(٧)، ١٣٩٧ هـــــ، ١٩٧٧م.: ص ٤٩.

١٠- أشار إلى ذلك في مقدمته وفي مواضع متفرقة من الكتاب، انظـــر البحـــر : ٣٦/١، ٥٤، ٥٧، ١١٤، ١٣٩، ٣٥٤/٢، ٣٦٤، ٤٠٩.

١١- انظر، مثلاً البحر: ١٦/١، ٥٨، ٥٢، ١٠٢، ١١٩، ١٥٨، ١٦٧، ١٨٠.

١٢- البحر : ١٥٧/٣، وانظر أيضاً : البحر : ٣١٨/٢، ٣٦٢، ٢٧١/٤، ٤٧١.

١٣- انظر : السمين، أحمد بن يوسف الحلبي، (٧٥٦هــ، ١٣٥٤)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم للطباعة والنشــر والتوزيع، ط(١)، دمشق، بيروت، ١٤٠٨هــ/١٩٨٧م.

١٤- السابق نفسه، مقدمة المحقق : ٤٦/١.

١٥- انظر في تفصيل ذلك : الحديثي، أبو حيان النحوي : ص ٣٨٧ - ٣٩٠.

١٦- البحر : ٣٢٤/٢. وانظـــر أيضـــاً : ٣٠٨/١، ٣٥٣، ٢٩/٢، ٢٥٢، ١٧/٣، ٢٠/٤، ٥٩.

١٧- السابق: ٥٨/١.

١٨- السابق: ١٧٩/١ وانظر: ٤٠٤/١، ٦٣/٢، ٦٥/٢، ١٧/٣. ١٩- السابق: ٧٢/٤.

٢٠- السابق : ٦٩/٤-٧٠. ٢١- السابق: ٣٢٥/٢ - ٣٢٦.

٢٢- السابق : ٣٥٨/١. ٢٣- السابق: ٢٩٨/٣، وانظر : ١٦٦/٣ - ١٦٧، ٤٩٢/٨.

٢٤- السابق : ٢/ ٢٨٧. ٢٥- السابق: ٣٢٧/٢.

٢٦- السابق : ١٨٠/١. ٢٧- السابق : ٢٨٢/١ - ٢٨٣ .

٢٨- جمع الباحث بدر ناصر البدر اختيارات أبي حيان في البحر المحيط، ودرسها دراسة وافية في كتابه : "اختيارات أبي حيان النَّحوية في البحر المحيط" طبعة مكتبة الرشد،ط(١) الرياض، (د.ت).

٢٩- انظر في تفصيل المسألة : البحر: ٢٢٩/٤-٢٣٠.

٣٠- السابق : ٣٠٧/٥. ٣١- السابق : ١٥/١.

٣٢- انظر الموضعين : السابق: ٧٨/١، ٧٢/١.

٣٣- انظر : البحر : ١١٥/١، ٣١٧/٣، ٧٤/٤، ٣٥٥/٦.

٣٤- والقراءة المتواترة هي قراءة : (ليس البرَّ أن تولوا) البقرة : ١٧٧ بنصب (البرّ) انظر : البحر : ٣/٢.

٣٥- السابق : ٢٩٠/١. ٣٦- السابق : ٢٠٦/٥. ولم أهتدِ إلى قائل البيت.

٣٧- السابق : ١٩٢/٤ - ١٩٣. ٣٨- الحديثي، أبو حيان النحوي : ص ٤١٤.

٣٩- انظر البحر : ١٤٧/٢ - ١٤٨. ٤٠- انظر السابق : ١٣٧/٢ - ١٣٨.

٤١- انظر : الجاسم،محمود،أوجه التحليل النحوي عند الزمخشري وأبي حيان وابن هشام، رسالة دكتوراة، جامعة حلب، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص ٢٥٤.

٤٢- انظر : البحر: ٦٤/١، ٢٨٩/٢. ٤٣- السابق : ٩٨/١ - ٩٩.

٤٤- انظر السابق : ١٠٧/٣، ١٣٦.
٤٥- انظر في شيءٍ من هذا : الجاسم، تعدّد أوجه التحليل: ص ٢٠٢.
٤٦- البحر : ٤١/١.
٤٧- السابق : ٢٤١/١ - ٢٤٢. وانظر : ٦٣/١ - ٦٤،١٢٣، ٣٢٤، ١٩٧/٢، ٣١٢، ٢٩/٣، ١٣٨/٤، ٤٣٤، ٦٠/٥، ٢٥٣/٨.
٤٨- السابق : ٥٤/١.
٤٩- السابق: ٢١٦/٣ - ٢١٧.
٥٠- ومظاهر العدول عن الأصل تتعدّد وتتنوّع فقد يكون في : البنية الصرفية، بما يطرأ عليها من تعريف أو تنكير أو نقل بنيابةٍ أو تضمين، أو في الرتبة، بما يحدث فيها من تقديم وتأخير، أو في النَّظْم، بما يحدث فيه من حذف أو زيادة أو اعتراض.
٥١- البحر : ٩٧/٢ - ٩٨.
٥٢- السابق: ٢٥٦/٢.
٥٣- السابق: ١١٦/٣.
٥٤- السابق نفسه والصفحة نفسها.
٥٥- السابق: ٢٥١/١.
٥٦- الزمخشري، جارالله محمود بن عمر (٥٣٨هـ، ١١٤٣م) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وصححه محمد شاهين، دار الكتب العلمية، ط(١)، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ج٣ ص ١٦٤.
٥٧- ابن عطية، (٥٤١هـ/١١٤٦م) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المغرب، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ج١١، ص ٢١٥.
٥٨- سيبويه، عمرو بن عثمان، (١٨٠هـ، ٧٩٦م)، كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(٣)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١ ص ٤٢٤.
٥٩- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (٢٠٧هـ،٨٢١م) معاني القرآن، ٣ج، تحقيق عبدالحليم النجار وزميله، مصر، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م، ج١، ص ٢٢٩،

٦٠- انظر في المسألة : البحر ٦/٣٨٦.

٦١- انظر مثلا : ١/٩٤، ٣٨١، ٢/٨٨، ٤٠٥، ٣/٣٦٤، ٤/٤٦٧، ٥/٤١٤.

٦٢- السابق : ٤/٢٩١.

٦٣- السابق نفسه والصفحة نفسها. وانظـــر هـذه المواضـع : ١/١٢٠، ٣٠٨، ٢/٢٥٦، ٧/٤٩٣.

٦٤- الحديثي، أبو حيان النحوي : ص ٣٧٨.

٦٥- انظر في هذه المسائل على التوالي :

البحــر : (٦/٣٤٤)، (٤/٢٥٠، ٣/٥٠٤، ٢/٣١٨، ٨/٦)، (٧/٣٧٦، ٥/٣٦٣، ٨/١٤٠، ٦/٤٧٠، ٢/٤٠٣)، (٦/٣٦٦، ٥١٧، ٢/٤٧٦، ٨/١٠٣...)، (١/٢٧٣، ٣٢٦، ٢/٤٨)، (١/١٨٥، ٢٨٧، ٥/٣٢٤، ٦/٣٩٦)، (١/١٢٨، ٢/١٨٧، ٣/٧٧، ٨/١٢٦)، (٤/٢١١- ٢١٢، ٨/٣٣٩، ٧/٢٠٤، ٦/٢٢٦).

٦٦- انظر : الجاسم، تعدد أوجه التحليـــل النحـوي : ص ١٩٧ - ١٩٩، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٩٣.

٦٧- انظر : البدر، اختيارات أبي حيان النحوية : ص ٧٣٢ - ٧٣٣.

٦٨- البحر : ١/٤.

٦٩- السابق: ١/١٣ - ١٤.

٧٠- وقد أفردوه بمصنفات كثيرة، منها : "البرهان في مناسبة ترتيب سور القـرآن" لأبي جعفر بن الزبير، شيخ أبي حيان، و"تناسق الدرر فـــي تناسـب السـور" للسيوطي .

٧١- السابق: ٤/٥٥.

٧٢- السابق : ١/٤١٢.

٧٣- الزمخشري، الكشاف : ١/١٩٥.

٧٤- انظر المواضع التالية من البحر شاهدا على ما سبق ذكره من عود الضمير : ١/١٨٥، ٢/٥، ٨/٣٤٢، ٣/٤٠٥، ٣/١٩، ٤/١٠٧، ٢/٢٢، ٢/٣٢٤، ٨/٢٦٨، ٤/٢٠٧.

٧٥- السابق: ٨/٣٤٢.

٧٦- السابق: ٦/٢٤١.

٧٧- السابق : ١/٣١٥.

٧٨- السابق : ٤/١٣٨.

٧٩- السابق : ٣٥/١ - ٣٦. ٨٠- انظر السابق : ٣١٥/١، ١٦٧/٤.
٨١- السابق : ٤٣/١. ٨٢- السابق : ٩٠/٧.
٨٣- السابق : ١٦٧/١.
٨٤- السابق : ١٨٩/٨ وانظر في نظير هذا : ١٢/٨-١٣.
٨٥- انظر : خطابي، محمد، لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط(١)، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٨٩.
وانظر شواهد ذلك في البحر : ١٦/٢، ٦٣/٢، ٩٣/١-٩٤، ٢٠٩/٥.
٨٦- البحر : ٣٥٤/٨- ٣٥٥. ٨٧- الزمخشري، الكشاف : ٦١٩/٤.
٨٨- البحر : ٢٢٥/١-٢٢٦، وكرر أبو حيان ذلك في : ٤٠٨/٤. وانظر في شواهد التناص: البحر ٢٢٨/١، ٣٠٨، ٣٧٠، ٤٣٣، ٥١/٢، ١٦٦، ٢٥١، ٤٠٨، ٤١٤.
٨٩- السابق : ٢٥٦/٤. ٩٠- السابق : ٤٠٨/١.
٩١- السابق نفسه والصفحة نفسها . ٩٢- السابق : ١٣٠/١.
وانظر هذه المواضع: البحر، ٣٠/١، ٤٢، ٦٧، ٦٩، ٣١٣، ٢١٦/٢، ١٢/٣، ٤٢/٤، ٤٠٧/٦، ١٤٦/٧-١٤٧.
٩٣- انظر : ابن هشام، أبو محمد، جمال الدين عبدالله بن يوسف الأنصاري، (٧٦١هـ/١٣٥٩م) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وعلق عليه: مازن المبارك ومحمد على حمدالله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط(١)، ١٩٨٥م، ص ٨٤٣.
٩٤- البحر : ٥٠/١. ٩٥- السابق: ٢٤٣/١.
٩٦- السابق : ٣٦٧/٢.

المصادر والمراجع

(ط: طبعة، د.ت: دون تاريخ، ع: عدد)

- البدر، بدر ناصر، اختيارات أبي حيّان النَّحْوية في البحر المحيط، جمعاً ودراسة، ط(١) مكتبة الرشد، الرياض، د.ت.
- الجاسم، محمود، تعدد أوجه التحليل النَّحْوي عند الزمخشري وأبي حيان وابن هشام، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الحديثي، خديجة، أبو حيان النحوي، ط(١)، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط(٢)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- خان، محمد، الدراسات اللغوية وقيمتها في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - مجال الأصوات، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦.
- خطابي، محمد، لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب، ط(١)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥.
- السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، ط(١)، دار القلم، دمشق وبيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط(٣) ، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣.

- عضيمة، محمد، أبو حيان وبحره المحيط، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع (٧)، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧.
- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المغرب، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصر، ١٣٠٥هـ.
- الفراء، معاني القرآن، تحقيق عبد الحليم النجار، وزميله، مصر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥.
- المقّري، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني، ط(٦)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥.

الدراسة الرابعة

التحليل النحـــــوي

عند ابن هشام الأنصاري

مدخــل

قُدِّر لابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري المصـــري أن يحيا في عصر متأخر (٧٠٨-٧٦١هـ)، وفي بيئة أتيح لها أن تـــرث البيئـــات الإسلامية المتقدمة[1]، ففي المشرق تقوض عرش الخلافـــة فـــي بغـــداد ســـنة ٦٥٦هـ على يد المغول، وفي المغرب كانت الأندلس – منذ أواخر عهد ملـــوك الطوائف– مسرحاً للفتن والاضطرابات التي عصفت بها، فَطَفِق العلماء يهبطون من المشرق والمغرب إلى القطرين، مصر والشام، اللذين كانا مستقلين يخفـــق عليهما راية واحدة حملها المماليك الذين تولوا أمرهما بعد الأيوبيين زُهاء ثلاثـــة قرون (٦٤٨-٩٢٣هـ)، واتخذوا القاهرة حاضرة لهم، فأصبحت – في عهدهم– ميداناً لنشاط علمي واسع شمل علوماً متعددة، وزخرت مدارســـها ومســـاجدها بالعلماء الذين نبغوا في كل فن.

نشأ ابن هشام في هذه البيئة، وتلقى أنواع العلوم المختلفة عـــن أكـــابر الشيوخ، ولم تكن ثقافته وَقْفاً على النحو، بل كانت مزيجاً من العلوم السائدة فـــي عصره، وأما في النحو فقد كان "خاتمة المجتهدين الذين استوعبوا مسائل هـــذا العلم، ونبغوا فيه نبوغاً عظيماً[2] وبلغ الإعجاب به لدى بعض معاصريه[3] حـــدا جعلهم يقولون: "إنه أنحى من سيبويه".

ترك ابن هشام تراثاً ضخماً يدور جُلّه حول النحو[4] ومشكلاته، وكـــان بحق طليعة القرن الثامن الهجري، كما كان ابن مالك (٦٧٢هـ) طليعة القـــرن السابع الهجري[5]، فقد وقف على جهود النحاة الســـالفين لـــه، علـــى اختـــلاف مدارسهم وأعصارهم، ودرسها دراسة وافية وتبين الصحيح منها والفاسد، مـــع كثرة الاستنباطات واشتقاق الآراء المبتكرة غير المسبوقة، ووضـــع الضوابـــط النحوية الكلية العامة[6]، وآيته الكبرى في ذلك كتابه "مغني اللبيب عـــن كتـــب

الأعاريب"، فقد تضمن الكتاب مادة علمية غزيرة، جمع فيها ابن هشام الآراء المتعددة من مختلف المذاهب والاتجاهات وكان له "القدرة على محاكمة هذه الآراء ومناقشتها وتحليلها"، والموازنة الدقيقة بينها، ثم الخروج من ذلك كله بالرأي الذي يأنس له ويستريح إليه[٧] ولعل شهرة ابن هشام إنما جاءت بعد تأليفه هذا الكتاب، إذ شغل النحاة قرونا كثيرة بما ألفوا من شروح وبما أنتجوا حوله من تعليقات[٨].

نهج ابن هشام في تأليفه "مغني اللبيب" منهجا ليس له سابقة ولا لاحقة، إذ حصر مسائل النحو جميعها في ثمانية أبواب، فقد كان يرى أن كتب سابقيه يغلب عليها التكرار، وأنها "لم توضع لإفادة القوانين الكلية، بل الكلام على الصور الجزئية[٩] ويضم هذه الأبواب مبحثان كبيران: مبحث في الأدوات ووظائفها وصور استخدامها، وما يتصل بها من قواعد وأحكام، وما يمثل لها من شواهد، ومبحث في الجمل وأقسامها وأشباه الجمل، وما يتصل بها "من الذكر والحذف، والمظان التي توقع المعربين في الخطأ، وتصحيح ما شاع من ذلك، وأصول توجيه الإعراب، وتمييز ما يلتبس بغيره، وإعطاء الشيء حكم غيره.. إلى آخر ما هنالك من تقسيمات شتى وقواعد كلية هامة: من مشابهة ومجاورة وتضمين وتغليب وتوسع وقلب وتقارض في الأحكام[١٠]. إضافة إلى "الأحكام والفوائد، فهو ينثرها في كل مناسبة، إذ ليس متن البحث –عنده– بأكثر فائدة من تعليق يورده في مسألة، أو أمر ينبه عليه[١١] وبجانب ذلك غلبت على الكتاب كثرة الشواهد: من القرآن الكريم والشعر والحديث وكلام العرب، ويغر ذلك من الأمثلة الجزئية.

كان ابن هشام يورد هذه الشواهد ويحللها ويكشف عن أسرارها سعياً إلى تكوين ملكة معربة تستطيع أن تفهم سر التراكيب في العربية، وصولاً إلى وضع أصول لإعراب القرآن، فهو –في كتابه المغني– "يمثل ما انتهت إليه

الدراسات النحوية التي شغلت نفسها بالقرآن الكريم وما يثيره النحاة من قضايا حول كثير من تراكيبه وعباراته وأدواته مذ كتب سيبويه "الكتاب" إلى عصر ابن هشام نفسه(١٢).

إن منهج ابن هشام في تصنيف الكتاب وقدرته على المناقشة والتحليل وآراءه المبثوثة فيه –تفضي كلها إلى الجزم بأنه وقف على كثير من خصائص الظاهرة اللغوية، وإن الانتفاع بهذه الأنظار والتّهدّي بكثير من التحليلات التي قدمها، يمكن أن تسهم في وضع أصول ومبادئ نافعة للتحليل النحوي. وسأحاول في هذا البحث أن أتلمس بعض هذه المبادئ، وأن أقارنها بما يناظر من المبادئ الحديثة في التحليل النحوي عند التحويليين.

١. الجملة عند ابن هشام

غدا من الثابت في علم اللغة الحديث أن تتخذ دراسة الجملة أساس كل دراسة نحوية، لتتحدد بهذه الدراسة معالم التراكيب التي تتحرك فوقها الوظائف النحوية، التي تجعل من المفردات سياقاً مترابطاً تقوم فيه القيود والضوابط، بجَمْع مختلف عناصره على محور التركيب. وقد أصبح هذا المطلب منطلقاً ضرورياً لا يستغني عنه أي باحث يروم وصف اللغة أو يشتغل بتعليمها(١٣).

ومهمة اللغوي أمام الجملة هي دراستها، من حيث أنواعها، وعناصر تركيبها والعلاقات التي بينها ومختلف وظائفها، ولا يخفى أن دراسة النحو على هذه الصورة "تغير ملامحه وتجعله أكثر نجاعة لتفهم اللغة واستكناه أسرارها وتقدير إمكاناتها حق قدرها(١٤).

ولم تكن دراسة الجملة عند نحاتنا القدماء بالأمر الغريب عنهم، فقد اهتموا بها ووضعوا لها أنواعاً أرجعوا إليها مختلف الأنماط، وحللوها إلى

مختلف مكوناتها وضبطوا وظائفها، ولكن هذه الدراسة جاءت موزعة على الأبواب المختلفة التي تمثل الوظائف النحوية المتعددة، وكان أكثر ما يكترث لها في مواضع من الأبواب التي تعاقب فيها المفرد، كالمسائل التي تخصص لدراستها حين تقع خبراً أو صلة أو صفة أو حالاً أو شرطاً... ولا تخلو هذه الدراسة من فائدة رغم تشتتها، لكنها "لا تنم عن نظرة شاملة تلم بعناصر الجملة على أساس الوحدة التي بينها، لوا نشعر بأن الجملة تدرس لذاتها"[١٥].

وقد بقيت العناية بالجملة – منذ سيبويه إلى من جاءوا بعده – محدودة طوال قرون، ويعد ابن هشام أول من أفرد لها باباً في كتابه "مغني اللبيب" كما صدَّر كِتابه الموسوم "الإعراب عن قواعد الإعراب"[١٦] بالحديث عن الجملة وأحكامها، مما يدل على شعوره بأهميتها "وإدراكه أن الدراسة النحوية ينبغي أن تنطلق منها، إذا أريد من تلك الدراسة احترام الواقع والاحتفاظ بطابعه"[١٧].

استهل ابن هشام كلامه على الجملة[١٨] بتفرقته بين صنفين من التراكيب: الكلام والجملة، وعرف الكلام بأنه "القول المفيد بالقصد[١٩]، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه"[٢٠]، وعرف الجملة بأنها "عبارة عن الفعل وفاعله، كـ"قام زيد" والمبتدأ وخبره كـ"زيد قائم"، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: ضُرِبَ اللصُّ، وأقائم الزيدان، وكان زيد قائماً، وظننته قائماً"[٢١] أي أن الجملة يمكن أن تدل على معنى فتكون بذلك كلاما ويمكن ألا تكون كذلك، وعلى هذا فالجملة أعم من الكلام[٢٢]، ويتضح هذا من المثالين التاليين:

١. مَنْ يَزْرَعْ يَحْصُدْ ←—— كلام.

٢. مَنْ يَزْرَعْ ←—— جملة.

واستدل ابن هشام على هذه التفرقة بين الكلام والجملة أن النحاة يسمون الجملة التي تقع حالا أو خبرا أو نعتا... جملة ولا يسمونها كلاما، قال: "ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام"[٢٣].

ويبدو أن ابن هشام قد تبع الرضي (٦٨٦هـ) في ذلك، فقد فرق الرضي بين الكلام والجملة أيضا[٢٤]، ويشير ابن هشام إلى أن كثيرا من النحاة يسوي بين الكلام والجملة ويجعلهما مترادفين[٢٥]، وأبرز من يشار إليه في ذلك ابن جني (٣٩٢هـ)، والزمخشري (٥٣٨هـ)، ومن وافقهما[٢٦].

وقد طبق ابن هشام رأيه على قوله تعالى[٢٧]:﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

قال الزمخشري[٢٨]: إن قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ معطوف على قوله تعالى: قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ ، وأن قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ إلى قوله: (يكسبون) وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه. قال ابن مالك[٢٩]: "إن الزمخشري حكم بجواز الاعتراض بسبع جمل، إذ زعم أن (أفأمن) معطوف على (فأخذناهم)، ورد عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان فقال: إنما اعترض بأربع جمل، وزعم أن من عند ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ إلى (والأرض) جملة[٣٠]، لأن الفائدة إنما تتم بمجموعه[٣١]. وعقَّب عليه[٣٢] ابن هشام بأنه "كان من حقه أن يعدها ثماني جمل" وهي:

١. وهم لا يشعرون. (زادها ابن هشام).
٢. آمنوا.
٣. واتقوا.
٤. لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض.
٥. جملة المصدر المؤول من "أن" واسمها وخبرها، وهو فاعل لفعل محذوف تقديره: ولو ثبت أن أهل القرى.
٦. ولكن كذبوا.
٧. فأخذناهم.
٨. بما كانوا يكسبون.

وزاد بعضهم جملة تاسعة هي جملة (يكسبون) [٣٣]، وزاد بعض المحدثين[٣٤] عاشرة، وهي جملة (لا يشعرون).

وبذا يتضح أن ابن هشام يعد البنية التركيبية التي تضمنت الإسناد الأصلي (الفعل والفاعل) أو (المبتدأ والخبر) جملة، سواء أكانت هذه البنية مستقلة أم داخلة في بنية أخرى أكبر، كما يظهر ذلك من عده ثماني الجمل المعترضة السابقة. والذي يبدو لي أن هذا الخلاف بين من يجعلون الجملة رديفاً لمصطلح الكلام ومن يجعلونها ليس رديفاً له- يعود إلى أسباب دينية، فالجملة مصطلح نحوي والكلام مصطلح ديني، ولذلك نجد المعتزلة يسوون بين الكلام والجملة حتى يستوفي كلام الله شرط الإفادة، وقد كان ابن جني (٣٩٢هـ) كأستاذه أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) معتزليا[٣٥]، وقد اقتفى أثره الزمخشري، وكان معتزليا أيضا.

أما ابن هشام فلا يلتفت إلى هذا البعد في الكلام، وينظر إليه من خـــلال المقولات النحوية فقط، فالمسند والمسند إليه يمثلان ركنيـــن للجملـــة العربيـــة، وتوافرهما شرط كاف لقيام الجملة[٣٦] التي بنى النحويون عليها تحليليهم، وآيـــة ذلك أن اهتمامهم كان شديدا بهما إلى حد جعلهم "يتصورون أن الجملة لا يمكـــن أن تنهض إلا بهما، فإذا وجد فقط استقرت الأمور على الوجه المطلـــوب، وإذا وجد أحدهما دون الآخر وجب تقديره وحسبانه موجودا"[٣٧]، ومن المفيـــد فـــي التحليل اللغوي اعتبار الجملة النواة أو الأساس، أي (الفعل والفاعل) و(المبتـــدأ والخبر)، أو ما سماه ابن هشام "الجملة الصغرى"، منطلقا للتحليل، لأن عليـــها يترتب "مالا ينحصر من الصور الجزئية"، بتغييرات وعوارض متعددة تمد فيـها عناصر ووظائف جديدة، ويكون الحاصل اللغوي كلاماً مفيداً يحسن الســـكوت عليه، وكأن ابن هشام – بتفرقته بين الكلام والجملة – كان على وَعْيٍ بأن اللغـة إنما تحصل عن طريق النموذج الأساسي "الجملة الصغرى"، والاهتمام به منطلق لتناول الظاهرة اللغوية.

وقريب من هذا ما ذكره د. عبد الرحمن أيوب مـــن أن علمـــاء اللغـــة المحدثين فرقوا "بين الجملة باعتبارها أمراً واقعياً، وبينها باعتبارهـــا نموذجـــاً يصاغ على قياس منه عدد عديد من الجمل الواقعية"[٣٨]، ويوضح الدكتور أيوب ذلك بأن "المبتدأ والخبر جملة اسمية" تصف نموذج الجملة الاسمية، بينما تصـف عبارة "محمد قائم" جملة اسمية، مثالاً واقعيا لهذا النموذج المشار إليه في العبارة الأولى. ويضيف قائلا: "وإذا صح أن العبارة الأولى تصـــف نمـــوذج الجملـــة بالاسمية وأن الثانية تصف مثالا لها، فإنه من اللازم أن نفرق بين نماذج الجمـل التي توجد في لغة من اللغات، وبين الأمثلة التي تتردد في استعمالنا لكل منـــها، ومجموع نماذج الجمل في لغة من اللغات هو ما يسمى بعلم النحو (SYNTAX) أما الأمثلة التطبيقية لهذه النماذج فليست علما بل أحداث واقعية ســـماها علمـــاء

اللغة المحدثون بالكلام". ويقرر الدكتور أيوب: "والكلام عندهم -بناء على هذا- نظير للكلام عند النحاة العرب الذين عرفوه بأنه "ما دل على أكثر م معنى مفرد أفاد فائدة تامة" أي أنهم لم يقصدوا به النماذج التركيبية للجمل بل الأمثلة الواقعية لها".

ويضيف الدكتور أيوب قائلا: والواضح أن النحاة قد قصدوا بالجملة ما يقصد به علماء اللغة بعبارة "الحدث اللغوي"، وسواء أطلق لفظ الجملة على "الحدث اللغوي" أو على "النموذج التركيبي" فإنه من المهم أن نفرق بين هذين الأمرين تفريقا كاملا حتى لا نتخبط بين المثال والواقع(٣٩).

أقسام الجملة

وقسم ابن هشام الجملة إلى ثلاثة أقسام هي: الاسمية والفعلية والظرفية، وأشار إلى أن الزمخشري وغيره أضافوا قسماً رابعاً هو الجملة الشرطية، ولم يوافق على هذا القسم وعده من قبيل الجملة الفعلية. وعَرَّف كل قسم من هذه الأقسام فقال: "فالاسمية هي التي صدرها اسم كزيد قائم، وهيهات العقيقُ، وقائمٌ الزيدان، عند من جَوّزه، وهو الأخفش والكوفيون".

والفعلية هي التي صدرها فعل، كقام زيد، وضُرِبَ اللصُّ، وكان زيد قائماً، وظننته قائماً، ويقوم زيد، وقُمْ.

والظرفية هي المصدرة بظرف أو مجرور، نحو: "أعندك زيد" و"أفي الدار زيد" إذا قدرت "زيدا" فاعلا بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبر عنه بهما"(٤٠) ويمكن رد هذا القسم إلى الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية، لأنه لا يكون نوعا مستقلا إلا باعتبار واحد من ثلاثة(٤١)،

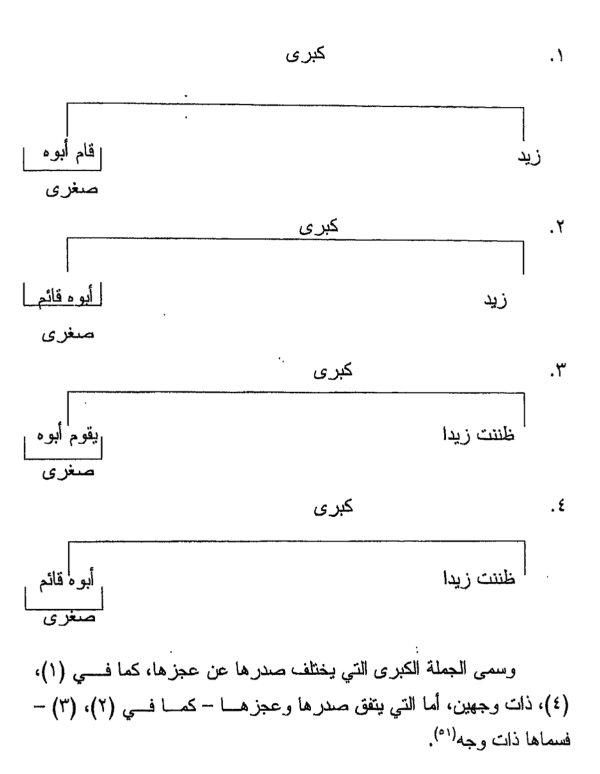
وعلى هذا يمكن اعتبار الجملة الاسمية والجملة الفعلية النوعين الرئيسين في أنواع الجمل في العربية.

ونَبَّه ابن هشام عقب تعريفيه السابقين للجملة الاسمية والجملة الفعلية على أن المراد "بصدر الجملة المسند أو لمسند إليه، فلا عبرة بما تَقَدّم عليهما من الحروف، فالجملة من نحو: أقائم الزيدان، وأزيد أخوك، ولعل أباك منطلق، وما زيد قائما، اسمية. ومن نحو: أقام زيد، أقائم زيد، وإن قام زيد، وقد قام زيد، وهلا قمت، فعلية.

والمعتبر -أيضا- ما هو صدر في الأصل، فالجملة من نحو "كيف جاء زيد" ومن نحو قال تعالى: ﴿ فَأَيَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [٤٢] ومن نحو ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [٤٣] و﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ ﴾ [٤٤] فعلية، لان هذه الأسماء في نية التأخير.

وكذا الجملة في نحو "يا عبد الله" ونحو ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ [٤٥]، ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ﴾[٤٦]، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [٤٧]، لأن صدورها في الأصل أفعال، والتقدير: أدعو زيدا[٤٨]، وإن استجارك أحد، وخلق الأنعام، وأقسم والليل[٤٩].

وعقب هذا التصنيف للجملة قسمها ابن هشام إلى "صغرى" و"كبرى" وهو أول نحوي يفعل ذلك. ومراده بالجملة الكبرى أي جملة موسعة أو مركبة تتألف من أكثر من جملة واحدة، وبالجملة الصغرى أي جملة بسيطة مستقلة بنفسها[٥٠]، ويتضح هذا من الأمثلة التالية:



وسمى الجملة الكبرى التي يختلف صدرها عن عجزها، كما في (١)، (٤)، ذات وجهين، أما التي يتفق صدرها وعجزها – كما في (٢)، (٣) – فسماها ذات وجه[٥١].

وهذا التصنيف – كما يبدو– قائم على مراعاة الشكل الطولي للجملة أو المبني الصرفي للكلمة المصدرة، فالجملة التي يتصدرها اسم اسمية، والتي يتصدرها فعل فعلية، والتصدر المراد هو تصدر الكلمة التي تعد ركناً رئيسياً في الجملة (المسند أو المسند إليه)، أو أن الأصل فيها أن تكون من أركان الجملة، فالجملة الفعلية ما كانت مكونة من (فعل وفاعل)، أو ما أصله كذلك، والجملة الاسمية ما كانت مكونة من (مبتدأ وخبر) أو ما أصله كذلك، ولا عبرة بما تقدم من حروف أو عناصر ليست ركناً رئيسياً في الجملة.

ولا بد من ملاحظة اختلاف[٥٢] المعايير عند ابن هشام في تصنيف الجملة، فأحيانا يكون التحديد عن طريق الصدر المراد به المسند أو المسند إليه، وأخرى عن طريق اعتبار الأصل، ثم إنه طبق المعيار الأخير على تراكيب محولة عن جملة فعلية بسيطة فقط، ويبدو ذلك واضحا فيما عرض من أمثلة. ولا شك أن هذا الاختلاف يؤدي إلى عدم وضوح الإطار الذي تنتظم فيه الجملة، والخلط في إدراج بعض الجمل تارة في الاسمية وأخرى في الفعلية.

وإذا عدنا إلى بعض النماذج التي قدمها لنوعي الجملة بان ذلك، نحو:

١. أقائم الزيدان.

عدها اسمية باعتبار أنها منزلة منزلة المبتدأ مع الخبر، وذلك لأن (قائم) وإن كان مبتدأ إلا أن (الزيدان) فاعل بـ(قائم) الذي هو اسم فاعل لا أنه فعل[٥٣].

٢. كان زيد قائماً.

٣. ظننته قائماً.

عدهما فعليتين باعتبار ما يتصدر[٥٤]، ويمكن اعتبارهما اسميتين باعتبار الأصل، إذ إنّ أصل معمولي "كان" و"ظن" المبتدأ والخبر[٥٥].

كما أن التمييز بين نوعي الجملة باعتبار ما يتصدر لم يلق إجماع النحاة، ومنهم ابن هشام نفسه، ويتضح هذا في الجمل التي بدئت باسم متبوع بفعل، نحو:

٤. زيدٌ قام.

عدها ابن هشام[٥٦] والبصريون اسمية باعتبار ما يتصدر، وجوز المبرد (٢٨٥هـ)، وابن مالك (٦٧٢هـ) فعليتها على إضمار فعل يفسره المذكور، وعدها الكوفيون فعلية تقدم فيها الفاعل[٥٧]. ويرجح ابن هشام أن الجملة المعطوفة في نحو "قعد عمرو وزيد قام" فعلية "للتناسب، وذلك لازم عند من يوجب توافق الجملتين المتعاطفتين"[٥٨].

٥. ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [٥٩]

يحتمل الفعلية والاسمية، والأرجح – عند ابن هشام– فعليتها على إضمار فعل يفسره المذكور[٦٠]، لأن الأصل في الاستفهام أن يدخل على الأفعال، أما كونها اسمية فباعتبار الصدر.

ورغم هذا التردد في نسبة بعض الجمل إلى الاسمية أو الفعلية إلا أننا نجد أن ابن هشام قد اهتدى إلى نواح هامة في الجملة، وسجل ملاحظات ما زالت جديرة بالاهتمام، فقد "ميز جملة تكون أصلا وأخرى تكون فرعا بمنزلتها، فضبط العلاقة بين الأصل البسيط "قام زيد" والفرع المحول بالبناء للمجهول "ضُرِب اللص"[٦١].

كما نجد مصطلح "العبرة بصدر الأصل" الذي طبقه على جمل لها ظاهر مختلف، نحو:

١. كيف جاء زيد؟

٢. ﴿ فَأَيَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾.

٣. ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾.

٤. ﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ ﴾.

فحكم على فعليتها اعتبارا بصدر الأصل، فهي -وإن تصدرها أسماء- محولة عن أصل فعلي بسيط هو (الفعل والفاعل)، وتقدمت الأسماء: "كيف" و"فآي آيات الله" و"فريقا" في الموضعين، و"خشعا أبصارهم" لأنها في نية التأخير -كما يقول- أو لأنها فضلات.

وقد كان بوسعه - رحمه الله- أن يطبق هذا المصطلح على الجملتين:

١. كان زيد قائماً.

٢. ظننته قائماً.

وغيرهما من الأمثلة التي ذكرها، فيعدها اسميتين، لأن العبرة بصدر الأصل، فهما -وإن تصدرهما فعل- اسميتان محولتان عن أصل اسمي بسيط[٦٢]، هو (المبتدأ والخبر)، ولو كان فَعَلَ ذلك لاطّرد المعيار.

والقول بمبدأ الأصل والفرع يؤدي إلى القول بوجود نوعين من التركيب: التركيب الخارجي (SURFACE STRUCTURE) والتركيب الداخلي (DEEP STRUCTURE) وهذا هو المعمول به في النحو التحويلي، والأول في نظر التحويليين نتيجة نحصل عليها من إجراء عمليات معينة على التركيب

الداخلي، تعرف بالقواعد التحويلية، وهي من باب التفسير لا التقعيد[٦٣]. فلكـــي نفسر العلاقة بين الجملتين[٦٤]:

١. أكل الرجلُ التفاحةَ.

٢. التفاحةُ أكلها الرجل.

نلاحظ أن الجملة (٢) مشتقة من (١)، مما يدل على أنه بالإمكان – فـي موقع المفعول به– إجراء تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتـــداء، ويـــترك هـــذا التحويل في الموقع الذي كان يحتله الاسم ضميرا عائدا إليه، فاشتقاق الجملة (٢) يتم كالتالي:

البنية الداخلية أو العميقة:

- أكل الرجلُ التفاحةَ.

تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء:

- التفاحةُ أكل الرجل التفاحة.

(+ ضمير).

البنية السطحية أو الخارجية:

- التفاحةُ أكلها الرجل.

فالجملة (٢) فعلية محولة عن جملة (١).

وكذلك الجملة: "الرجلُ أكل التفاحة" جملة فعلية محولة من :"أكل الرجـلُ التفاحة" بإجراء تحويل ينقل الاسم (الرجل) فيضعه في موضع ابتـــداء الكـــلام، ويترك هذا التحويل ضميراً في المكان الذي كان يحتله الاسم.

ولقد تعددت تقسيمات الجملة عند المحدثين، واختلفت وجهاتهم في البحث وغاياتهم منه(٦٥)، وليس من هِمّة هذا البحث تفصيل ذلك، ولكنا نشير إلى أن مصطلح "العبرة بصدر الأصل" كان لدى بعضهم أساسا بنى عليه منهجا ارتضاه في التحليل اللغوي، اعتماد فيه على وضع حد للجملة قائم على هذا المصطلح ومصطلحين آخرين أخذهما من النحو التوليدي والتحويلي(٦٦)، وهو -لا ريب- يصدر عن مناهج النحاة الأوائل فيما أصّل وشاد.

إطالة الجملة

وتقسيم ابن هشام الجملة إلى "صغرى" و"كبرى" و"ذات وجه" و"ذات وجهين" ليس تصنيفاً للجملة، وإنما هو تفريغ لها، وهو إدراك واضح لفكرة الجملة النواة (KERNEL SENTENCE) فقوله: "والجملة عبارة عن الفعل والفاعل"، كـ"قام زيد" والمبتدأ والخبر، كـ"زيد قائم"(٦٧) – بيان لأدنى قدر تنعقد به الجملة، ففي الجملة الفعلية يكتفى بالفعل والفاعل، وفي الاسمية يكتفى بالمبتدأ والخبر، وما يضاف إلى الجملة -بعد ذلك- من عناصر ووظائف يحولها إلى جملة كبرى أو مركبة. وجدير بالملاحظة أن الجملة العربية غالبا ما تستطيل من ناحية اليسار دون اليمين(٦٨)، كما أن الإمكانات اللغوية المتاحة في إطالة الجملة تتنوع، وقبل أن نبين ذلك نشير إلى أن الأدوار الوظيفية في نظرية النحو العربي قد نوقشت من خلال مستويين: مستوى المفرد ومستوى الجملة، فالجمل أو أشباه الجمل التي يمكن أن "تحل محل المفرد" جمل لها محل من الإعراب، والجمل التي "لا تحل محل المفرد" ليس لها محل من الإعراب. وفي ضوء هذه الوظائف للمفردات والجمل وأشباهها أتاح النظام النحوي في العربية وسائل لإطالة الجملة، فقد تطول (أي الجملة النواة) من خلال العناصر الإسنادية أو غير الإسنادية، ويتضح ذلك من الأمثلة التالية:

١. ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة:١١٩] [٦٩]

(هذا) مبتدأ، (يوم) خبر المبتدأ، وقد استطال الخبر بإضافته إلى الجملة الفعلية (ينفع الصادقين صدقهم).

٢. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [٧٠].

استطال الخبر (الذي) بجملة الصلة التي يحتاج إليها الاسم الموصول.

٣. ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ ﴾ [٧١].

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

وهو مبتدأ، أخبر عنه بخمسة أخبار.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [٧٢].

استطالت الجملة بجملتي الاعتراض: (حملته أمه وهنا على وهن) و(فصاله في عامين).

وهكذا نجد أن الجملة في العربية قد تمتد وتطول بجملة الصلة أو المضاف إليها أو الاعتراض أو بتعدد الخبر... وغير ذلك من الوسائل[٧٣]، ومن هنا فإن حديث ابن هشام عن الجمل التي لها محل من الإعراب[٧٤] والجمل التي لا محل لها من الإعراب، ثم تناوله حكم الجمل وأشباه الجمل بعد المعارف والنكرات[٧٥]، وذلك بعد تقسيمه الجملة إلى صغرى وكبرى – لافت للنظر، فكأنما هو يرى أن هذه الجمل ما هي إلا جمل مندمجة (EMBEDED) في الجملة النواة، وتشكل عمقا زائدا لها[٧٦]، فيؤدي ذلك إلى إطالة الجملة وتعقد بنائها.

ورغم ذلك، فهل للجملة حد تقف عنده؟ إن ذلك يتوقف – لا شك– على قدرة المتكلم اللغوية وثقافته وتحكّمه في التراكيب، كما يتصل بأمور نفسية وشعورية وسياقية، ولذلك يختلف طول الجملة وطريقة تكوينها من متكلم إلى آخر، بل من لغة إلى أخرى، طبقا للطاقة التركيبية لهذه اللغة. وأما ما أشار إليه ابن هشام بعدد الجمل التي يجوز الاعتراض بها، وحصرها فيما بين جملتين إلى ثماني جمل– كما جاء في آية الأعراف التي سبق تحليلها[٧٧] – فيبدو أنه مختص بالجمل المعترِضة، وليس حدا مطلقا.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن هشام أقام الباب الثامن من "مغني اللبيب" على "ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية"[٧٨] واستوت هذه الأمور عنده إحدى عشرة قاعدة أثبتها عقب ذلك وأردف ببعض أمثلتها، مما يهيئ ضَرْباً من النظر يعين على فهم الظاهرة اللغوية لأنه نابع من تبصر في تراكيب العربية وطول إلف بالنحو العربي في أصوله ومنطلقاته و منهجه ومذاهبه.

وقريب من هذا النظر عند ابن هشام ما صدر عنه تشومسكي في نظريته من أن "اللغة تقوم على نظام من القواعد المحددة (FINITE) التي تفسر عددا لا ينحصر (INFINIT) من الجمل"[٧٩] فهل يقود هذا المشبه إلى القول بأن تشومسكي تأثر بالنحو العربي في تكوينه العلمي، ومن ثم ظهرت آثار ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في نظريته؟ مسألة تحتاج إلى دراسة وبحث[٨٠].

****

وخلاصة القول إن ابن هشام قد درس الجملة دراسة وافية سجل فيها نواحي وملاحظات هامة وتعليقات ما زالت محتفظة بقيمتها، وليس إنصافا أن يقال بعد ذلك بأنه "لم يتجاوز في حديثه عن الجملة جمع ما كان متفرقا في أمهات الكتب النحوية[٨١].

٢. الشكل والمضمون

من المرتكزات الرئيسة المعول عليها في تحليل الجملة جانبا الشكل والمضمون أو المبنى والمعنى، فاللغة في نظر المحدثين نشاط مركب من عنصرين: عنصر الشكل أو المبني "وهو الصورة المادية التي تتألف بها الأصوات في كلمات أو جمل[٨٢] وعنصر المضمون أو المعنى "وهو المفهوم العقلي الذي يثيره في ذهن السامع نشاط المتكلم اللغوي[٨٣].

وتنتظم المباني الصرفية في التركيب اللغوي طبقا لقواعد لغوية محددة، ويتوقف معنى الجملة على حصيلة تركيب هذه المباني وفق هذه القواعد[٨٤]، ولذا يحسن في تحليل الجملة إلى مختلف مكوناتها وضبط وظائفها الفصل بين المبني والمعنى "ودراستهما بصورة متوازية باعتبار الأول حاملا للثاني ودالا عليه، إذ ليست اللغة مبنى صرفاً ولا هي معنى صرفاً، وإنما هي الشكل الذي بمقتضاه نؤلف بين المبنى والمعنى[٨٥].

ورغم أن معظم نحاة العربية تناولوا الظواهر اللغوية على أساس شكلي (Formal) وأجادوا في ذلك إجادة تامة إلا أنهم لم يقفوا عند حدود الشكل، بل عولوا على المعنى معولا كبيرا، ويمثل التفاتهم إليه "ملحظا ثابتا يفزعون إليه ويصدرون عنه في التفسير النحوي، وخاصة إذا تخلف التفسير على المستوى النحوي الخالص[٨٦].

وللدراسات اللغوية الحديثة احتفال خاص بدراسة المعنى "يقويه ويدعمه أن المعنى في نظر هذه الدراسات صدى من أصداء الاعتراف باللغة كظاهرة اجتماعية[٨٧] ومن ثم دعت الحاجة إلى تشقيق المعنى إلى ثلاثة معان فرعية[٨٨]:

أحدها: المعنى الوظيفي Functional Meaning

الثاني: المعنى المعجمي Lexical Meaning

الثالث: المعنى الاجتماعي أو معنى المقام Contextual Meaning.

والمعنى على مستوى الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية، هو معنى وظيفي "أي أن ما يسمى المعنى على أساس هذا المستوى هو في الواقع وظيفة المبنى التحليلي[٨٩] ومهمة علم النحو هي دراسة العلاقات بين الأبواب النحوية ممثلة في المفردات التي في التركيب[٩٠]، إذ إن هناك تفاعلا بين الوظيفة النحوية والمفردة التي تختار لشغلها، ويشكل هذا التفاعل بينهما مع الموقف المعين المعنى الدلالي للجملة[٩١].

ومن الملاحظات التي صدر عنها ابن هشام في الباب الخامس من "مغنى اللبيب" أنه أقام الباب على "ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها[٩٢] وجعل أولى تلك الجهات "أن يراعى المعنى" ويقرر ابن هشام أن "أول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، مفرداً أو مركباً.

والمعنى الذي نصح ابن هشام المعرب أن يراعيه هو المعنى بفروعه الثلاثة السابقة، وآية ذلك ما أورد من أمثلة وقع للمعربين فيها وهم، لعدم نظرهم في موجب المعنى في التركيب:

١. المعنى المعجمي:

ونظيره ما روي من "أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له "بيت المفصل[٩٣]:

لا يُبعد اللهُ التلبُّبَ والـ ... غاراتِ إذ قال الخميس: نَعَمْ

فقال: "نعم" حرف جواب، ثم طلبا محل الشاهد في البيت فلم يجداه، فظهر لي حسن لغة كنانة في "نعم" الجوابية.

وهي "نعم" بكسر العين، وإنما "نعم" هنا واحد الأنعام، وهو خبر لمحذوف، أي هذه نعم، وهو محل الشاهد[٩٤].

ونظير ذلك -أيضا- قوله تعالى[٩٥]: ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ﴾، فإن ظاهر اللفظ يجعل انتصاب "مائة" بـ"أماته"، قال ابن هشام: "وذلك ممتنع مع بقائه على معناه الوضعي، أن الإماتة سلب الحياة، وهي لا تمتد، والصواب أن يضمن "أماته" معنى "ألبثه"، فكأنه قيل: فألبثه الله بالموت مئة عام، وحينئذ يتعلق به الظرف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمين، أي معنى اللبث لا معنى الإلباث، لأنه كالإماتة في عدم الامتداد[٩٦].

وكذلك لم يجوز ابن هشام إعراب فواتح السور "على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه[٩٧] وفواتح السور مثل: ألم، حم، ... ليس لها معنى معجمي، ولذا لا يجوز إعرابها.

٢. المعنى الاجتماعي أو معنى المقام.

ومن ذلك قوله تعالى[٩٨]:﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ فإن المتبادر تعلق "من" بـ "خفت"، وهو فاسد في المعنى، لأنه يسلم إلى البعد عن دلالة التركيب وسياق الموقف أو المقام الملابس له، فهو لم يَخَفْ من وراءه، وإنما خاف ولايتهم من بعده وسوء خلافتهم، ولذا وجب تعلق "من" بـ"الموالي"، لما فيه من معنى الولاية[٩٩].

وقوله تعالى[100]: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ ظاهر اللفظ فيه يوهم عطف "أن نفعل" على "أن نترك" وذلك فاسد، لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، وإنما المعنى أنه أمرهم ترك فعل ما يشاءون في أموالهم، ولذا يعطف "أن نفعل" على "ما" التي هي مفعول به للفعل "نترك"، أي: أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل....

٣. المعنى الوظيفي:

وقد جعل ابن هشام الجهة الثانية من عشر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها "أن يراعي المعرب معنى صحيحا، ولا ينظر في صحته في الصناعة" والمعنى الذي يريده -هنا- المعنى الوظيفي، ويريد بالصناعة جانب الشكل الذي يتمثل في نظام عناصر الجملة وما يخضع له من ضوابط، وآية ذلك ما أورده من أمثلة منها:

قول بعضهم في قوله تعالى[101]: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ ﴾ إن ثمودا مفعول مقدم، قال ابن هشام: "وهذا ممتنع، لأن لـ "ما" الصدر، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وإنما هو معطوف على عادا" أو هو بتقدير وأهلك ثمودا"[102] ونظيره قول بعضهم في بيت المتنبي يخاطب الشيب:

ابعَدْ بَعِدتَ بياضاً لا بياضَ لـه ... لأنت أسودُ في عيني من الظُّلَـمِ

إن "من" متعلقة بـ "أسود"، قال ابن هشام: "وهذا يقتضي كونه اسم تفضيل، وذلك ممتنع في الألوان، والصحيح أن "من الظلم" صفة لأسود، أي أسود كائن من جملة الظلم[١٠٣].

وقول بعضهم في قوله تعالى[١٠٤]: ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ إن "أعمالا" مفعول به، ورده ابن خروف بأن "خسر" لا يتعدى، ووافقه الصفار، وعلق ابن هشام قائلا: "وثلاثتهم ساهون، لأن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به، ولأن "خسر" متعد.

والعلاقة بين المبني (مفردا أو مركبا) والمعنى الوظيفي في التركيب تحددها ضوابط وقيم خلافية تسعف في تفسير صور أساسية من الظاهرة اللغوية. وهذه العلاقة من الملاحظ التي أقام عليها النحويون تحديدهم الأبواب النحوية، كما تعد من الملاحظ التي بنوا عليها منهجهم في التحليل النحوي، ويعد مؤرخو اللغة العرب "أول من اعتبر العلاقة بين صيغة الكلمة، على مستوى الصرف، ووظيفتها في التركيب على مستوى النحو"[١٠٥] ولذا نجد ابن هشام ينبه المعرب إلى مراعاة "الشروط المختلفة بحسب الأبواب، فإن العرب يشترطون في باب شيئا، ويشترطون في آخر نقيض ذلك الشيء على ما اقتضته حكمة لغتهم وصحيح أقيستهم، فإذا لم يتأمل المعرب اختلطت عليه الأبواب والشرائط"[١٠٦]. وأورد ابن هشام ستة عشر نوعا من هذه الشرائط والضوابط، وأشار "إلى بعض ما وقع فيه الوهم للمعربين لعدم مراعاتها، ومن ذلك قوله:

١. اشتراطهم الجمود لعطف البيان والاشتقاق للنعت، ومن الوهم في الأول قول الزمخشري (٥٣٨هـ) في ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾[١٠٧]: إنهما عطف بيان، والصواب أنهما نعتان.

ومن الخطأ في الثاني قول كثير من النحويين في نحو "مـــــررت بـــهذا الرجل" إن الرجل نعت... والحق أنه عطف بيان(١٠٨).

٢. اشتراطهم التعريف لعطف البيان ولنعت المعرفة، والتنكير للحـــال والتمييز، وأفْعَلَ مِنْ، ونعت النكرة.

ومن الوهم في الأول قول جماعة في "صديد" مـــن ﴿ مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾(١٠٩): إنه عطف بيان، وهذا إنما هو معترض على قول البصريين ومن وافقهم، فيجب عندهم في ذلك أن يكون بدلا، وأما الكوفيون فيرون أن عطف البيان في الجوامد كالنعت في المشتقات، فيكون في المعارف والنكرات(١١٠).

ومن الوهم في الثاني قول مكّي في قراءة ابن أبي عبلـــة ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾(١١١) بالنصب: إن "قلبه" تمييز، والصواب أنه مشبه بالمفعول به، كحســن وجهه، أو بدل من اسم "إن"(١١٢).

٣. اشتراطهم المفرد في بعض المعمولات والجملة في بعـــض، فمــن الأول: الفاعل ونائبه، ومن الثاني: خبر "أن" المفتوحة إذا خففـــت، وخبر القول المحكي وجواب الشرط وجواب القسم(١١٣).

٤. اشتراطهم في بعض الجمل الخبرية، وفي بعضها الإنشائية، فالأول كثير كالصلة والصفة والحال، والجملة الواقعة خبرا لـــ "كــــان" أو خبرا لـــ "إن" أو لضمـــير الشـــأن ومـــن الثـــاني جـــواب القســـم الاستعطافي(١١٤).

وإلى جانب هذه الضوابط والقيم الخلافية يعنى ابن هشام ببيان الفـــروق بين وظائف نحوية يمكن أن يفضي عدم معرفة الفروق بينها إلـــى خطـــأ فـــي

التحليل الإعرابي، ومن ذلك ما أورده في الباب الرابع من "مغني اللبيب". في ذكر أحكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها وعدم معرفتها على وجهها"، ومن ذلك: ما يعرف به المبتدأ من الخبر، والفاعل من المفعول، وما افترق فيه عطف البيان والبدل، واسم الفاعل والصفة المشبهة....

السيــاق اللغـوي

وعلى نحو ما يلحظ ابن هشام أن البنية الصرفية – مفردة أو مركبة– لها دور مهم في وصف الظاهرة النحوية أو تفسيرها، نراه يمد بصره إلى ما حولها من عناصر لغوية في السياق، تجعل هذه البنية تحتمل أكثر من وظيفة نحوية، ويوجَدُ ما يُرجِّح كُلاًّ منها، ومن ذلك قوله تعالى[١١٥]:﴿ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ فيحتمل أن المراد وعد، أو زمان وعد، أو مكان وعد، قال ابن هشام[١١٦]: فإن الموعد محتمل للمصدر، ويشهد له: (لا نخلفه نحن ولا أنت)، وللزمان ويشهد له: (قال موعدكم يوم الزينة)، وللمكان ويشهد له: (مكانا سوى)، وإذا أعرب "مكانا" بدلا منه لا ظرفا لـ "تخلفه" تعين ذلك وارتفع الاحتمال.

ولئن هداه هذا النظر إلى استكناه الوظائف النحوية بالنظر إلى العناصر اللغوية المجاورة، فقد امتد بصره –أيضا– إلى عناصر لغوية جاءت في تركيب نظير للتركيب موضع النظر، ومن ذلك ما أورده في الجهة السابعة من عشر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وهو أن يحمل المعرب "كلاما على شيء، ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه، وله أمثلة:

أحدها – قول الزمخشري في ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[١١٧]: إنه عطف على (فالق الحب والنوى)، ولم يجعله معطوفا على (يخرج الحي من الميت)، لأن عطف الاسم على الاسم أولى، ولكن مجيء قوله تعالى[١١٨]: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ بالفعل فيهما يدل على خلاف ذلك"[١١٩].

وقول بعضهم في ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [١٢٠]: إن اسم الله –سبحانه وتعالى – مبتدأ أو فاعل، أي الله خلقهم، أو خلقهم الله، قال ابن هشام: "والصواب الحمل على الثاني، بدليل ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١٢١].

الأداء الصوتي

ويعتد ابن هشام بالأداء الصوتي عنصرا في التحليل يسعف في تفسير الظاهرة النحوية، ومن ذلك ما أورده في العنصر الثالث عشر من الجهة الأولى التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وذلك "ما حكاه بعضهم من أنه سمع شيخاً يعرب لتلميذه "قيّما" من قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا ﴾[١٢٢] صفة لـ "عوجا"، قال: فقلت له: يا هذا كيف يكون العوج قيما؟ وترحمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في "عوجا" وقفة لطيفة دفعا لهذا التوهم[١٢٣].

ومن ذلك – أيضا– قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[١٢٤]: إن الوقف قبل "عليكم"،

وإن "عليكم" إغراء، قال ابن هشام[١٢٥]: وهو حسن، وبه يتخلص من إشكال في الآية محوج للتأويل[١٢٦].

والوقف عنصر صوتي يؤدي ما يؤديه التنغيم في الكلام[١٢٧]، باعتباره ظاهرة صوتية تزدوج مع البنية اللغوية للتركيب، فتساعد على فهم قيم التراكيب ودلالاتها.

وعلى هذا فليس النحو عند ابن هشام مقتصراً على الخط الأفقي السطحي للتركيب، بل ينتظم المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

٣. الرجوع إلى الأصول المقدرة

لا تعد ملاحظة الشكل وحده أو ظاهر اللفظ كافيا في تفسير الظاهرة النحوية، وقد أدرك النحاة العرب أن وراء التركيب الظاهر يكمن تركيب آخر يتم في ضوئه تفسير الظاهرة وفهم معناها، وليس التأويل والتقدير في النحو العربي إلا ضبطا للعلاقة بين التركيب الظاهر "والأصول التي تنتظم بنيته عندهم"[١٢٨]، لأن "بنية الجملة أو تركيبها لا تعطينا دائما كل شيء عن العلاقات النحوية"[١٢٩].

وهذا الأساس المزدوج الذي أدركه النحاة[١٣٠]، هو الأساس نفسه الذي تنادي به النظرية التوليدية والتحويلية: البنية السطحية (Surface Structure) والبنية العميقة، (Deep Structure) كما أن الجانب النظري لكلال من الاتجاهين هو الاعتماد على المعنى في تفسير ظاهر اللفظ[١٣١].

وتلقانا في "مغني اللبيب" أمثلة كثيرة يقف ابن هشام إليها، ويقـــدر مـــا يحتمل معناها أو ما يكون عرض لها من حذف أو تقديم أو تأخير أو غيره، مما يحتمه واقع اللغة وتركيبها، ومن ذلك:

١. ما أورده في باب "المنصوبات المتشابهة"[١٣٢]، نحو قولهم "سِـرْتُ طويلا" وهو تركيب يحتمل عنده:

١. سرت سيراً طويلاً.
٢. سرت زمناً طويلاً.
٣. سرته طويلاً.

فعلى (١) يكون (طويلا) نصبا على المصدر الذي نابت عنـــه صفتـــه، وعلى (٢) يكون نصبا على الظرفية، وعلى (٣) يكون نصبا على الحالية.

ونظيره قوله تعالى[١٣٣]: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾، ويحتمل:

١. وأزلفت الجنة للمتقين إزلافا غير بعيد. (نصب على المصدر).
٢. وأزلفت الجنة للمتقين زمنا غير بعيد. (ظرف زمان).
٣. وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد. (أي الإزلاف في حال كونه غـــير بعيـد، وهي حالة مؤكدة).

وواضح أن ابن هشام لاذ إلى هذه التركيبات المقدرة بسبب من احتمالها هذه المعاني التي يتطلبها تركيبها، ولا شك أن دلالة كل تقديـــر تختلـــف عـــن الآخر.

٢. كما عالج جملا ذات شكل ظاهري مختلف، نتج عن نقل إحدى المفردات من موقع إلى موقع، ولكنها –رغم ذلك– ذات معنى واحد، ومن ذلك ما أورده فـــي

الجهة الخامسة[١٣٤] من عشر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها:

١.زيدٌ نِعْمَ الرجل.

٢.ونِعْمَ الرجل زيدٌ.

قال ابن هشام[١٣٥]: يتعين في "زيد" -في الجملة الأولى- الابتداء، وقيل: يحتمل "زيد" في الثانية أن يكون مبتدأ أو خبرا لمبتدأ محذوف، أي الممدوح زيد.

وقال أيضا[١٣٦]: يجوز في "زيد عيسى أن يقوم" نقصان "عسى" فاسمها مستتر، وتمامها فـ"أن" والفعل مرفوع المحل بها. ويجوز الوجهان في "عسى أن يقوم زيد"، فعلى النقصان "زيد" اسمها وفي "يقوم" ضميره، وعلى التمام لا إضمار وكل شيء في محله.

٣. وقد يكون التقدير بسبب وجود بنى باطنية مختلفة للتركيب الظاهر، نحو "ضَرَبْتُ زيداً ضاحكا"، قال ابن هشام[١٣٧]: يحتمل كون "ضاحكا" حالا من الفاعل، وكونه حالا من المفعول.

وهذا يعني أن الجملة مشتقة من بنيتين عميقتين مختلفتين، لكل منهما دلالة مختلفة، وذلك بسب بالضمير المستتر في "ضاحكا" واحتمال عوده على الفاعل أو المفعول، والتقدير:

١.ضربت زيداً وأنا أضحك.

٢.ضربت زيداً وهو ضاحك.

ونظيره قوله تعالى ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾[١٣٨]، قال ابن هشام: "وتجويز الزمخشري الوجهين في ﴿ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾[١٣٩] وهم، لأن "كافة" مختص بمن يعقل"[١٤٠].

٤. وقد يكون التقدير بسبب تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، ومن ذلك "أعجبني ما صنعت"، إذ يجوز كون "ما" بمعنى "الذي"، وكونها نكرة موصوفة، وكونها مصدرية، والتقدير:

١. أعجبني الذي صنعته.
٢. أعجبني شيءٌ صنعته.
٣. أعجبني صُنْعُك.

فإذا كانت "ما" موصولا اسميا أو نكرة موصوفة فلا بد من ضمير عائد عليها من صلتها، بخلاف ما نكرة موصوفة فلا بد من ضمير عائد عليها من صلتها، بخلاف ما إذا كانت مصدرية فلا عائد. قال ابن هشام: وأما قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[١٤١] فتحتمل "ما" الموصولة والموصوفة دون المصدرية، لأن المعاني لا ينفق منها[١٤٢].

٥. وقد تدفع دلالة السياق إلى حذف بعض عناصر الجملة فيرد التركيب الظاهر إلى التركيب المقدر وفقا لهذه الدلالة أو لمقتضاها ومقتضى اللغة ونواميسها الغالبة. وقد عقد ابن هشام بابا مستوعبا طويلا للحذف على اعتبار أنه "من المهمات"[١٤٣]، وعرض لشروط الحذف وبيان مكان المقدر ومقداره وكيفيته، وأماكن من الحذف يتمرن بها المعرب، موزعة على الأبواب، ومن أمثلة ذلك:

١. ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾[١٤٤]، أي حرم عليكم استمتاعهن. بتقدير مضاف، والذي أوجب التقدير أن حكم التحريم لا يتعلق إلا بالأفعال[١٤٥].

٢. ﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝ ﴾[١٤٦]، على تقدير: وكم من أهل قرية أهلكنا أهلها فجاء أهلها بأسنا. كذا قدره النحويون، قال ابن هشام[١٤٧]: وخالفهم الزمخشري في التقديرين الأوليين، لأن القرية تهلك، ووافقهم في الثالث، لأجل قوله تعالى: (أوهم قائلون).

٣. ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ [١٤٨] والتقدير: أن اعمل دروعا سابغات.

٤. ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝ ﴾[١٤٩].

أي هي نار الله الموقدة، على تقدير مبتدأ محذوف اقتضاه التركيب.

ويرى ابن هشام أن "الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة"[١٥٠] ومراده بالصناعة مجموعة القواعد التي تنضبط بها أصولية الجملة، وما عدا ذلك من العوامل غير النحوية" نحو قولهم في نحو: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾[١٥١].

إن التقدير: والبرد، ونحو: ﴿ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝ ﴾ [١٥٢].

إن التقدير: ولم تعبدني، ففضول في فن النحو، وإنما ذلك للمفسر... ولم أذكر بعض ذلك في كتابي جَرْياً على عادتهم... لأني وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعا"[١٥٣].

****

وواضح من الأمثلة السابقة أن التقدير كان لحاجة التركيب وواقع اللغة، ولست أوافق بعض المحدثين على "أن كثيرا من تقديرات النحاة لا سند لها لغويا، وقد لجأوا إليها لتبرير حركة إعراب أو للحفاظ على قاعدة تبنوها ولم يشاءوا تغييرها"(١٥٤).

فالتقدير في اللغة ليس مرفوضا من حيث المبدأ، ولجوء النحاة إلى تقديرات غايتها تبرير الحركة الإعرابية في بعض الشواهد والأمثلة، لا يقوم دليلا على أن أغلب تقديراتهم كانت لأجل تبرير الحركة الإعرابية، وآية ذلك ما قدمناه من أمثلة صدر فيها ابن هشام عن حاجة التركيب للتقدير(١٥٥)، أو بسبب من الغموض في بنيتها التركيبية، وهي ظاهرة لغوية في جميع اللغات(١٥٦)، وكانت من اعتراضات تشومسكي الرئيسة على مدرسة التحليل إلى المؤلفات المباشرة، لعجزها عن تفسير جمل بسبب من بنيتها التركيبية(١٥٧).

ولا يعيب النحويين اختلافهم في التقدير، فقد يكون لأحدهم رأي وافتراض يختلف قليلا أو كثيرا عن افتراض سواه، ومعيار التفاضل بين الفرضيات المختلفة هو حاجة التركيب إلى المقدر أو عدم حاجته إليه، ويتضح ذلك من أمثلة أوردها ابن هشام وخرجها بعضهم "على خلاف الأصل أو على خلاف الظاهر لغير مقتض"(١٥٨) يستوجب التقدير الذي ذهب إليه، ومن ذلك قول مكي (٤٣٧هـ) في قوله تعالى(١٥٩):﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾: إن الكاف نعت لمصدر محذوف، والتقدير: لا تبطلوا صدقاتكم إبطالا كالذي ينفق ماله... وعلق ابن هشام قائلا: "ويلزمه أن يقدر: إبطالا كإبطال الذي ينفق، والوجه أن يكون (كالذي) حالا من الواو، أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق، فهذا الوجه لا حذف فيه"(١٦٠).

ومن ذلك أيضا ما نبه إليه "أنه قد يظن أن الشيء من بـــاب الحــذف، وليس منه"[١٦١] وذلك ما "جرت عادة النحويين أن يقولـــوا: يحــذف المفعــول اختصارا واقتصارا، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل، وبالاقتصـــار الحــذف بغير دليل، ويمثلونه بنحو ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ أي أوقعوا هذين الفعليـن..."[١٦٢].

والتحقيق في المسألة عنده أن يقال: إنه تارة يتعلق الغرض بـــالإعلام بمجــرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أو من وقع عليه، فيجاء بمصدره مســـندا إلى فعل كون عام، فيقال: حصل حريق أو نهب. وتارة يتعلق بالإعلام بمجــرد إيقاع الفعل، فيقتصر عليهما، ولا يذكر المفعول، ولا ينوى، إذ المنوي كالثـابت، ولا يسمى محذوفا، لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول به، ومنـــه: ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[١٦٣]، ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١٦٤].... إذ المعنى: ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة، وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم.

****

ومن لطيف ما تهيأ لابن هشام في مسألة الأصول المقدرة، اعتباره "بيان كيفية التقدير" أو ما يعرف بـ"حفظ المراتب على حد قــول ابــن جنـــي فـــي "الخصائص"[١٦٥] فقد يستدعي "الكلام تقدير أسماء متضايفة، أو موصوف وصفة مضافة، أو جار ومجرور مضمر عائد على ما يحتاج إلى الرابط، فلا يقــدر أن ذلك حذف دفعة واحدة،بل على التدريج فالأول نحو﴿ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ ﴾[١٦٦] أي كدوران عين الذي...

والثاني كقوله[١٦٧]....

إذا قامتا تَضَوَّعَ المِسْكُ منهما   نَسيمَ الصبا جاءت بريّا القَرَنْفُلِ

أي تضوعاً مِثْلَ تَضَوُّع نسيم الصبا.

والثالث كقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾[١٦٨] أي لا تجزى فيه. ثم حذفت "في" فصار لا تجزيه، ثم حذف الضمير منصوباً لا مخفوضاً، هذا قول الأخفش (٢١١هـ)، وعن سيبويه أنهما حذفا دفعة واحدة"[١٦٩].

وهذا النظر في ترتيب تقدير المحذوف يعرف عند التحويليين بـ Rule Ordering أي ترتيب الأحكام[١٧٠]، فقد وضع التحويليون قواعد تحول التركيب الباطني –الذي يحتوي على معنى الجملة– إلى التركيب الظاهري الذي يجسد مبناها، ويرون أنه "لا بد أن تنشأ القوانين التحويلية وتطبق بترتيب معين من أجل البساطة والصحة اللغوية"[١٧١].

ومن أهم هذه القواعد عند التحويليين: الحذف والإحلال والتوسع والاختصار والزيادة وإعادة الترتيب[١٧٢].

ففي قول ابن مالك:

وبعد "أن" تعويضُ "ما" عنها ارتُكِبْ   كمثل "أمـا أَنْتَ بَـرًّا فـاقْتَرِبْ"

ذكر في هذا البيت أن "كان" تحذف بعد "أن" ويعوض عنها "ما" ويبقى اسمها وخبرها.

والبنية الداخلية أو العميقة للمثال السابق[١٧٣]:

أن كنت برا فاقترب.

١. وبتطبيق قانون التوسع (Expansion) عند التحويليين:

أن كنت برا فاقترب ←—— أن كان أنت برا فاقترب[١٧٤].

٢. وبتطبيق قانون الحذف (Deletion):

أن كان أنت برا فاقترب ← أن ما أنت برا فاقترب.

٣. وبتطبيق قانون التعويض (Replacement):

أن أنت برا فاقترب ← أن ما أنت برا فاقترب

٤. وبتطبيق قانون الاختصار (Reduction) بإدغام نون "أن" في ميم "ما":

أن ما أنت برا فاقترب ← أما أنت برا فاقترب.

ويلحظ مما سبق أهمية ترتيب القواعد التحويلية(١٧٥).

خاتمـــة

وبعد، فهذه جولات مع ابن هشام الأنصاري في "مغني اللبيب" أبعد كتبه نظراً وأكثرها أثراً. وقد حاول البحث على امتـداده الوقـوف علـى المبـادئ والوصول التي كان يصدر عنها ابن هشام في وصف الـتركيب الجملـي فـي المغني، سعياً للوصول إلى تكوين ملكة معربة تستطيع فهم سر الـتراكيب فـي العربية وصولا إلى إعراب القرآن.

فقد ناقش البحث –أولا– مفهوم الجملة عنده، وتفرقته بينها وبين الكلام، وأقسام الجمل، والمعايير التي أقام عليها هذه السمة، وتفريعه الجمل إلى صغرى وكبرى وذات وجه وذات وجهين، ثم تناول عقب ذلك الجمل التي لها محل مـن الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب. وقد ارتضى البحث بعض مـا ذهب إليه وقارنه بما يناظر من المفاهيم الحديثة، وأعاد النظر في بعضه الآخر، وانتهى البحث إلى أن ابن هشام قدم تعليقات وملاحظات جديرة بالاهتمـام فـي باب الجملة، وآية ذلك أن كل دراسة محدثة –في أثناء تبصرها فيما بلغه النظـر اللغوي الحديث من آفاق– تشير إلى ابن هشام في هذا المجال.

ثم حاول البحث – بعد ذلك– بيان الأصول التي أقـام عليـها تحليلـه، فعرض للعلاقة بين الشكل والمضمون، فبين أن ابن هشام أدرك أهمية المعنـى بفروعه الثلاثة: المعجمي، والوظيفي، والاجتماعي، أو معنى المقام. كما بين أن العلاقة بين المبنى –مفرداً أو مركباً– والمعنى الوظيفي، تحددها ضوابط وقيـم خلافية تسعف في وصف الظاهرة النحوية، وغلى جانب هذه الضوابط أشار إلى الفروق الدقيقة بين بعض الوظائف النحوية، ولم يغفـل دور السـياق اللغـوي والأداء الصوتي في تحديد العناصر اللغوية المكونة للتركيب. وقد ساق كل ذلـك

على هيئة جهات يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وأردفها بأمثلة وقع للمعربين فيها وهم بسبب عدم مراعاة ذلك. وأمام ذلك نجد أن النحو عند ابن هشام لم يقتصر على الخط الأفقي السطحي للتركيب، بل ينتظم المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ولا تعد ملاحظة الشكل وحده كافية في تفسير الظاهرة النحوية، فقد أدرك النحاة أن وراء التركيب الظاهر تركيباً داخلياً يتم في ضوئه تفسير الظاهرة النحوية وفهم دلالتها، وقد عرض البحث أمثلة كان ابن هشام يقف إليها ويقدر ما تحتمل من غموض بسبب بنيتها التركيبية، أو حذف أو تقديم أو تأخير، مما يقف دليلاً على دفع ما ذهب إليه بعض المحدثين من أن كثيراً من تقديرات النحاة كانت لأجل تبرير الحركة الإعرابية.

ولا يملك المتأمل إلا أن يعتقد أن ابن هشام كان يصدر في تحليلاته عن الأصول والمبادئ التي كان يصدر عنها النحاة في تحليلاتهم، وجاءت موزعة في ثنايا تعليقاتهم وتعليلاتهم، فقد كان القوم يضمرون أصولهم ويسترشدون بروحها، وقد قارن البحث هذه الأصول والمبادئ بما يناظرها في التحليل اللغوي عند التحويليين، إيماناً بأن هذه المقابلة تهيئ أمامنا مجالاً جديداً وحصاداً خصيباً يعين على فهم الظاهرة اللغوية.

الهوامش

(١) د. سامي عوض: ابن هشام النحوي، ص١١.

(٢) د. عبد العال سالم مكرم: المدرسة النحوية في مصر والشام، ص: ٣٥٨.

(٣) يقول ابن خلدون: "ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام، أنحى من سيبويه". المقدمة ص: ٥٣٢. وانظر د. شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٤) انظر: المدرسة النحوية في مصر والشام، ص: ٣٦١-٣٤٧.

(٥) السابق، ص: ٣٥٣.

(٦) المدارس النحوية، ص: ٣٥٥.

(٧) ابن هشام النحوي: ص: ٨٤-٨٥.

(٨) المدرسة النحوية في مصر والشام، ص: ٣٧٦.

(٩) مغني اللبيب، حققه وعلق عليه: د. مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، وراجعه سعيد الأفغاني، مقدمة المصنف، ص: ١٤.

(١٠) السابق، مقدمة المحققين، ص:٦.

(١١) السابق، مقدمة المحققين، ص: ٨.

(١٢) ابن هشام النحوي، ص: ١٢٩-١٣٠.

(١٣) أنظر: محمد الشاوش: ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، ص: ٢٣٧.

(١٤) د. عبد القادر المهيري: الجملة في نظر النحاة العرب، ص: ٣٦.

(١٥) السابق، ص: ٣٧ قوله "تنم عن" صوابه: تنم على.

(١٦) تحقيق وتقديم د. علي فودة نيل، نشر عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ط(١)، ١٩٨١.

(١٧) الجملة في نظر النحاة العرب، ص: ٣٧.

(١٨) مغني اللبيب، ص: ٤٩٠.

(١٩) قوله "المفيد بالقصد" من كلام علماء أصول الفقه، وهو كلام ابن مالك في التسهيل (ص ٣) أيضا، قال: الكلام ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا قصوداً لذاته.

(٢٠) مغني اللبيب، ص: ٤٩.

(٢١) السابق.

(٢٢) انظر: الإعراب عن قواعد الإعراب، ص: ٣٥، وشرح الكافية للرضي، ص: ١-٨.

(٢٣) مغني اللبيب، ص: ٤٩.

(٢٤) قال الرضي في شرح الكافية ٨/١: "والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا... ,الكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس" وإلى هذا ذهب السيوطي (٩١١هـ) في همع الهوامع ٣٦/١، قال: "والجملة قيل: ترادف الكلام، والأصح أعم لعدم شرط الإفادة". وهذا ما يرتضيه الأستاذ عبد السلام هارون، يقول: "والحق أن الكلام أخص من الجملة، والجملة أعم منه "الأساليب الإنشائية في النحو العربية، ص: ٢٥، وانظر ما بعده.

(٢٥) مغني اللبيب، ص: ٤٩٠.

(٢٦) عرف ابن جني الكلام بأنه "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل" الخصائص ١٧/١. وعرفه الزمخشري بأنه "هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في

اسمين، كقولك: زيد أخوك، وبِشْر صاحبك، أو في فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر،وتسمى الجملة" المفصل ص: ٦، شرح المفصل ٢١/١.

وانظر: د. محمد حماسة: في بناء الجملة العربية ص: ٢٦-٣٠، والعلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ص: ١٧-٢٢.

(٢٧) الأعراف: ٩٥-٩٧.

(٢٨) مغني اللبيب، ص: ٤٩١، الكشاف ٩٨/٢.

(٢٩) مغني اللبيب، ص: ٤٩١.

(٣٠) وثلاث الجمل الباقية، هي: ولكن كذبوا، فأخذناهم، بما كانوا يكسبون.

(٣١) مغني اللبيب: ص: ٤٩١.

(٣٢) أي على ابن مالك.

(٣٣) حاشية الأمير على مغني اللبيب، بهامش مغني اللبيب، طبعة عيسى البابي الحلبي، ٤٢/٢، قال الشيخ محمد الأمير: "وعلى مساق المصنف ينبغي أن تعد تسعة، والتاسعة خبر "كان" أعني (يكسبون) وهي غير "كان" مع خبرها، ألا ترى أنه عد (آمنوا) التي هي خبر "أن" جملة".

(٣٤) د. محمد حماسة: في بناء الجملة العربية، ص: ٣٧.

(٣٥) انظر: الخصائص ٤٢/١ المقدمة، والمزهر للسيوطي ١٠/١.

(٣٦) ولذا ينظر النحاة إليهما على أنهما عماد الجملة، ولذلك يطلقون عليهما مصطلح "العمد"، قال ابن يعيش في شرح المفصل ٧٤/١: "لأنها اللوازم للجملة، والعمدة فيها، والتي لا تخلو منها، وما عداها فضلة يستقل الكلام دونها". وأما المفعول به الذي تحتاج إليه بعض الأفعال فلا يعد شرطا ضروريا لاستقامة الجملة من حيث التركيب، ولئن بدا في بعض الحالات

ُجع إلى خصائص معنوية في بعض الأفعال، وقد نجــد
ستغناء عنه، نحو قوله تعالى: (وكلوا واشربوا) وقولهم:

.٧٩٧ :،

ظات بشأن تركيب الجملة في اللغة العربية، ص: ٢٥٢.
في الجملة، ص: ٣١.
يوب: دراسات نقدية في النحو العربي، ص: ١٢٥.
، وانظر: د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناهــا،

.٤٩٢ :،

ُلون "أعندك زيد" و"أفي الدار زيد" بثلاثة طرق:
والظرف أو الجار والمجرور قبله خبر مقدم.
محذوف الذي يتعلق به الظرف أو الجــار والمجــرور،
وإذا قدر الاستقرار المحذوف اسما "مستقر" كان "زيـــد"

أو للجار والمجرور، وفي هذه الحالة يشترط أن يكـــون
والمجرور معتمدا.

(٤٧) الليل: ١.

(٤٨) السياق يقتضي: أدعو عبد الله.

(٤٩) مغني اللبيب: ص: ٤٩٢-٤٩٣.

(٥٠) السابق: ص: ٤٩٧.

(٥١) مغني اللبيب، ص: ٤٩٩.

(٥٢) وانظر: حاشية الدسوقي ٣٦/٢.

(٥٣) السابق، ٣٤/٢.

(٥٤) الجمهور على أن "كان" لها دلالة على الحدث والزمان، وينظر سيبويه والمبرد وغيرهما إلى أن "كان" أداة تفيد الزمان وليست فعلا تام الفعلية. انظر: حاشية الدسوقي ٣٦/٢، الكتاب ٢١/١، المقتضي ٣٣/٣..

(٥٥) وانظر حاشية الدسوقي، ٣٤/٢.

(٥٦) مغني اللبيب، ص: ٤٩٦.

(٥٧) السابق، ص: ٤٩٧.

(٥٨) السابق، ص: ٤٩٦.

(٥٩) التغابن: ٦.

(٦٠) مغني اللبيب، ص: ٤٩٥.

(٦١) د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربية في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص: ٦٦.

(٦٢) إذ أن أصل معمولي "كان" و"ظن" المبتدأ والخبر.

(٦٣) أنظر: د. عبد الرحمن أيوب: المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب، ص: ١٤، وأما رد الفرع إلى الأصل عند النحاة فلاعتبارات تقعيدية قد يختلف فيها النحويون.

(٦٤) أنظر: د. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص: ٣٧.

(٦٥) أنظر في ذلك: د. عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، ص: ١٢٥، وما بعدها. ود. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص: ٢٧٥ ود. مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد و توجيه، ص: ٣٩-٥٨، ود. محمد حماسة: العلاقة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص: ٤٠ وما بعدها، وبريجشتراسر: التطور النحوي، ترجمة د. رمضان عبد التواب، ص: ١٦٤، وما بعدها.

(٦٦) أنظر: د. خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص: ٧٤ وما بعدها.

(٦٧) مغني اللبيب، ص: ٤٩٠.

(٦٨) اليمين واليسار يتحددان بالنسبة للجملة النواة أو الجملة الأصلية.

(٦٩) المائدة: ١١٩.

(٧٠) يونس: ٢٢.

(٧١) البروج: ١٤-١٦.

(٧٢) لقمان: ١٤.

(٧٣) ومن هذه الوسائل في باب الجملة الفعلية ما يقيد به الفعل من مقيدات كالمفعولات الخمسة والحال والتمييز والاستثناء والجار والمجرور... وفي باب الجملة الاسمية ما يتعدد به الخبر والصور التي يتخذها، وما يتمم به المبتدأ والخبر من التوابع...

أنظر في هذا: د. محمد حماسة: في بناء الجملة العربية ص: ١٧٦ وما بعدها.

(٧٤) مغني اللبيب، ص: ٥٠٠ وما بعدها.

(٧٥) السابق، ص: ٥٦٠.

(٧٦) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق د. حلمي خليـــل، ص: ٢١٩ حاشية المترجم.

(٧٧) انظر فاتحة هذا البحث عند حديث ابن هشام على الكلام والجملة.

(٧٨) مغني اللبيب: ص: ٨٨٥.

(٧٩) د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي.... ص: ٦١.

(٨٠) انظر الموازنة التي عقدها الدكتور نهاد الموسى بين أصول النحو العربي وأصول النظرية التحويلية في هذا المسألة ص: ٦١-٦٣.

وانظر أيضا: جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص: ١٣ مقدمة المـترجم.

ود. مازن الوعر: لقاء مع نوام تشومسكي، مجلـــة اللســانيات، جامعــة الجزائر، ع (٦)، ١٩٨٢ ص: ٧٢.

(٨١) د. عبد القادر المهيري: الجملة في نظر النحاة العرب: ص: ٣٧.

(٨٢) د. عبد الرحمن أيوب: المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العــرب، ص: ١٣.

(٨٣) السابق، ص: ١٣.

(٨٤) د. داود عبده: التقدير وظاهر اللفظ، ص: ٦.

(٨٥) محمد الشاوش: ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، ص: ٢٣٩.

(٨٦) د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي....، ص: ٧٣.

(٨٧) د تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ٢٨.

(٨٨) السابق، ص: ٢٨-٢٩.

(٨٩) المرجع السابق، ص: ١٨٢.

(٩٠) كل باب من الأبواب النحوية معنى وظيفي للكلمة المعربة به، فحين نقول: جاء زيد، بالمعنى الوظيفي لـــ "جاء" أنها فعل ماض، أي أنها تقوم فـــي التركيب بدور الفعل الماضي وتؤدي وظيفته النحوية الخاصة به.

(٩١) أنظر: د. محمد حماسة: النحو والدلالة، ص: ٩.

(٩٢) مغني اللبيب، ص: ٦٨٤.

(٩٣) البيت للمرقش الأكبر عمرو بن سعد. والتلبب: لبس السلاح، والخميـــس: الجيش. والمعنى لأقطع الله عهدي بلبس السلاح وبالإغارة عندما يقـــول الجيش: هذه نعم فأغيروا عليها.

انظر: مغني اللبيب، ص: ٦٨٤، المفصل للزمخشري، ص: ٢٥، ٣١١، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٤/١.

(٩٤) مغني اللبيب: ص: ٤٨٦.

(٩٥) البقرة/ ص: ٢٥٩.

(٩٦) مغني اللبيب، ص: ٦٨٧.

(٩٧) مغني اللبيب، ص: ٦٨٤.

(٩٨) مريم: ٤.

(٩٩)مغني اللبيب، ص: ٦٨٧.

(١٠٠) هود: ٨٧.

(١٠١) النجم: ٥٠-٥١.

(١٠٢) مغني اللبيب، ص: ٦٩٨.

(١٠٣) السابق: ص: ٧٠٣.

(١٠٤) الكهف: ١٠٣.

(١٠٥) د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي... ص: ٧٨.

(١٠٦) مغني اللبيب، ص: ٧٤١.

(١٠٧) (قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس) الناس: ١-٣.

(١٠٨) مغني اللبيب، ص: ٧٤٢.

(١٠٩) تتمتها: (ويسقى من ماء صديد) إبراهيم: ١٦.

(١١٠) مغني اللبيب، ص: ٧٤٣.

(١١١) (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) البقرة: ٢٨٣.

(١١٢) مغني اللبيب، ص: ٧٤٥.

(١١٣) السابق، ص: ٧٥٥-٧٥٦.

(١١٤) السابق، ص: ٧٦١.

(١١٥) تتمتها: (لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) طه: ٥٨/٥٩.

(١١٦) مغني اللبيب، ص: ٧٧٦-٧٧٧.

(١١٧) تتمتها: (إن الله خالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) الأنعام: ٩٥.

(١١٨) يونس: ٣١.

(١١٩) مغني اللبيب، ص: ٧٧٦.

(١٢٠) الزخرف: ٨٧.

(١٢١) الزخرف: ٩.

(١٢٢) الكهف: ١-٢.

(١٢٣) مغني اللبيب، ص: ٦٩٢.

(١٢٤) الأنعام: ١٥١.

(١٢٥) مغني اللبيب، ص: ٧١٤.

(١٢٦) "الإشكال هو أن "ما" من قوله "ما حرم" موصولة، و"أن لا تشركوا" بدل أو خبر مبتدأ محذوف، وكلاهما مشكل، لأن المحرم الإشراك لا عدمه، وأن الأوامر الواردة بعد ذلك معطوفة على "لا تشركوا" وفيه عطف الإنشاء على الخبر، وجعل المعاني الواجبة المأمور بها محرمة فيخرج ذلك إلى التأويل بادعاء أن "لا" زائدة لا نافية، والمعنى على القول بالإغراء حسن سالم من تلك التكلفات كلها، وعطف الأوامر على المحرمات باعتبار حرمة أضدادها وجعل الخبر السابق إنشاء معنى، والمعنى: عليكم أن لا تشركوا به شيئا، أي التزموا ترك الشرك به "حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ١٨٥/٢.

(١٢٧) انظر: د. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: ٢٢٥.

(١٢٨) د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي... ص: ٨٤.

(١٢٩) Hockett: A Course In Modern Linguistics, P. ٢٤٦.

(١٣٠) أنظر: د. عبد الرحمن أيوب: المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب، ص: ١٤.

(١٣١) عاب البنيويون على النحاة التقليديين اعتمادهم المعني عنصرا في التحليل النحوي، ولكن التحويليين اتخذوا موقفا منصفا بإزاء النظر النحوي التقليدي، مما عده بعض الباحثين رد اعتبار للنحو العربي، انظر:

١.د. نهاد الموسى:: نظرية النحو العربي... ص: ٣٧، ص: ٧١ (حاشية ٤٨).

٢.جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية، ص: ١٢٥.

٣.د. مازن الوعر: علم اللسان من البنيوية إلى الذهنية، ص: ٢٥-٢٦.

(١٣٢) مغني اللبيب، ص: ٧٢٩.

(١٣٣) ق: ٣١.

(١٣٤) مغني اللبيب، ص: ٧٢٢.

(١٣٥) السابق، ص: ٧٢٤.

(١٣٦) السابق، ص: ٧٢٧.

(١٣٧) مغني اللبيب، ص: ٧٣٢-٧٣٣.

(١٣٨) التوبة: ٣٦.

(١٣٩) البقرة: ٢٠٨.

(١٤٠) مغني اللبيب، ص: ٧٣٣، وقال الزمخشري في الكشاف (٣٥٣/١): "ويجوز أن يكون "كافة" حالا من "السلم"، لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب، قال:

السلم تأخذ منها ما رضيت به   والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

(١٤١) آل عمران: ٩٢.

(١٤٢) مغني اللبيب، ص: ٧٣٧.

(١٤٣) مغني اللبيب، ص: ٧٨٦.

(١٤٤) النساء: ٢٣.

(١٤٥) مغني اللبيب، ص: ٨١١.

(١٤٦) الأعراف: ٣.

(١٤٧) مغني اللبيب، ص: ٨١٢-٨١٣.

(١٤٨) سبأ: ١١.

(١٤٩) الهمزة: ٥-٦.

(١٥٠) مغني اللبيب، ص: ٨٥٣.

(١٥١) النحل: ٨١.

(١٥٢) الشعراء: ٢٢.

(١٥٣) مغني اللبيب، ص: ٨٥٣.

(١٥٤) د. داود عبده: أبحاث في اللغة، ص: ٢١ وانظر -أيضـــا- للمؤلــف: التقدير وظاهر اللفظ، ص: ١٤.

(١٥٥) وانظر: د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي... ص: ٨٨، حاشية ٨٤.

(١٥٦) أنظر: داود عبدة: التقدير وظاهر اللفظ، ص: ٧. وقد أطلق تشومســكي على هذه الجمل مصطلح "الترادف التركيبي" (Constructional Homonymity) وسماها غيره الجمل الغامضة أو ذات المعاني المتعددة، وأطلـــق عليـــها مصطلح (Ambiguous Sentences).

أنظر: N. Chomsky: Syntactic Sturctures, P. ٢٨, ٨٣.

(١٥٧) أنظر أمثلة ذلك:

١. جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية، ص: ١٣٠ وما بعدها.

٢. د. حلمي خليل: العربية والغموض، ص: ٢٢١٣ وما بعدها.

(١٥٨) مغني اللبيب، ص: ٧٨٢.

(١٥٩) البقرة: ٢٦٤.

(١٦٠) مغني اللبيب، ص: ٧٨٢.

(١٦١) السابق، ص: ٧٩٧.

(١٦٢) السابق، ص: ٧٩٧.

(١٦٣) البقرة: ٢٥٨.

(١٦٤) الزمر: ٩.

(١٦٥) ٣/٥، وانظر: د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي... ص: ٨٥-٨٦.

(١٦٦) تتمتها: (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) الأحزاب: ١٩.

(١٦٧) البيت من معلقة امرئ القيس.

(١٦٨) البقرة: ٤٨.

(١٦٩) مغني اللبيب، ص: ٨٠٣- ٨٠٤.

(١٧٠) د. نهاد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، ص: ٤٠.

(١٧٠) د. عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص: ١٤٠.

(١٧٠) انظر: د. الموسى: نظرية النحو العربي...، ص: ٨٥.

(١٧١) د. محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، ض: ٤٠.

(١٧٢) د. عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص: ١٤٠.

(١٧٣) انظر: د. أحمد سليمان ياقوت: في علم اللغة التقابلي، ص: ٧٠-٧١.

(١٧٤) السهم يشير إلى نتاج القواعد التحويلية.

(١٧٥) وانظر الأمثلة التي عرض لها د. داود عبده في بحثه: التقدير وظـــاهر اللفظ، الفطر العربي، بيروت، العددان (٨،٩) ١٩٧٩، ص: ٦.

المصادر والمراجع

أولا: العربية:

١- إبراهيم أنيس (دكتور): **من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط(٦)، ١٩٧٨.

٢- أحمد سليمان ياقوت (دكتور): **في علم اللغة التقابلي دراسة تطبيقية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥.

٣- الأنباري (عبد الرحمن بن محمد): **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط(٤)، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٤- برجشتراسر: **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥- تمام حسان (دكتور): **اللغة العربية معناها ومبناها**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢) ١٩٧٩م.

٦- ابن جني: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، بيروت عالم الكتب، ص(٣)، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧- جون ليونز: **نظرية تشومسكي اللغوية**، ترجمة وتعليق د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ط(١) ١٩٨٥م.

٨- حلمي خليل (دكتور): **العربية والغموض**، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ط(١)، ١٩٨٨م.

٩- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): **المقدمة**، مطبعة مصطفى محمد، مصر (بدون تاريخ).

١٠-خليل عمايرة (دكتور): **في نحو اللغة وتراكيبها**، عالم المعرفة، جـدة، ط(١) ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١١-داود عبده (دكتور): **أبحاث في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، بـيروت، ١٩٧٣م.

١٢-الدسوقي (مصطفى محمد عرفة): **حاشية الدسوقي على مغني اللبيب**، مطبعة المشهد الجسيني بمصر (بدون تاريخ).

١٣-رضى الدين الاستراباذي، **الكافية في النحـو**، دار الكتـب العلميـة، بيروت (بدون تاريخ).

١٤-الزمخشري: **الكشاف**، بيوت، الدار العلمية (بدون تاريخ).

١٥-------- : **المفصل في علم العربية**، دار الجيل، بيروت، ط(٢) (بدون تاريخ).

١٦-سامي عوض (دكتور): **ابن هشام النحـوي**، دار طـلاس، دمشـق، ط(١)، ١٩٨٧م.

١٧-سيبويه (عمر بن قنبر): **الكتاب**، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٦هـ.

١٨-السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): **همـع الـهوامع فـي شـرح الجوامع**، تحقيق وشرح د. عبد العال مكـرم، دار البحـوث العلميـة، الكويت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥م.

١٩-------- : **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، دار الفكر (بدون تاريخ).

٢٠- شوقي ضيف (دكتور): **المدارس النحوية**، دار المعـارف، مصـر، ط(٣)، ١٩٧م.

٢١-عبد الرحمن أيوب (دكتور): **دراسات نقدية في النحو العربي**، مؤسسة الصباح، الكويت (بدون تاريخ).

٢٢-عبد السلام هارون (دكتور): **الأساليب الإنشائية في النحـو العربـي**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط(٢)، ١٩٨٥م.

٢٣-عبد العال سالم مكرم (دكتور): **المدرسة النحوية في مصر والشـام**، دار الشروق، بيروت، ط(١)، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٤-عبده الراجحي (دكتور): **النحو العربي والدرس الحديث**، دار النهضـة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٥-مازن الوعر (دكتور): **نحو نظرية لسانية عربيـة حديثـة لتحليـل التراكيب الأساسية في اللغة العربيـة**، دار طـلاس، دمشـق، ط(١)، ١٩٨٧م.

٢٦- ابن مالك (محمد بن عبد الله): **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧م.

٢٧- المبرد (محمد بن يزيد): **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٦هـ.

٢٨-محمد الأمير (الشيخ): **حاشية الايمر، بهامش مغني اللبيب لابن هشام الانصاري**، دار إحياء الكتب العربية، مصر. (بدون تاريخ).

٢٩-محمد حماسة (دكتور): **العلامة الإعرابية في الجملـة بيـن القديـم والحديث**، مكتبة أم القرى، ط(١)، ١٩٨٤م.

٣٠-ـــــــ : **في بناء الجملـة العربيـة**، دار القلـم، الكويـت، ط(١)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣١-ـــــــ: **النحو الدلالة**، مطبعة المدينة، القاهرة، ط(١)، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٢- محمد عبادة (دكتور): **الحملة العربية دراسة لغوية نحويـة**، منشـأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٨م.

٣٣-محمد علي الخولي (دكتور): **قواعد تحويلية للغة العربية**، دار المريخ بالرياض، ط(١)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٣٤-محمود السعران (دكتور): **علم اللغة مقدمـــة للقـــارئ العربـــي**، دار النهضة العربية، بيروت.

٣٥-مهدي المخزومي (دكتور): **في النحو العربي نقد وتوجيه**، دار الرائد، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٦-ميشال زكريا (دكتور): **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغـــة العربية (الجملة البسيطة)**، المؤسسة الجامعية للنشر، بـــيروت، ط(٢)، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٧-نهاد الموسى (دكتور): **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظـــر اللغوي الحديث**، دار البشير، عمان، ط(٢)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٨-ابن هشام الانصاري: **الإعراب عن قواعد الإعراب**، تحقيق وتقديـــم د. علي فودة، عمادة شئون المكتبات – جامعة الرياض، ١٩٨١م.

٣٩-ابن هشام الأنصاري: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، حققه وعلـــق عليه: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الافغـــاني، دار الفكر، ط(٦)، ١٩٨٥م.

٤٠-ابن يعيش (موفق الدين بن علي): **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت (بدون تاريخ).

ثانيا: الأجنبية:

٤١- Chomsky: ***Aspects of the theory of syntax***. The M.I. T. Press, 1990.

٤٢- Hockett Charis F.: ***A Course In Modern Linguistics***, New York, 1967.

ثالثا: الدوريات:

٤٣-جون سيرل: **تشومسكي والثورة اللغوية**، الفكر العربي، بيروت، العددان (٨،٩)، ١٩٧٦م.

٤٤- داود عبده (دكتور): **التقدير وظاهر اللفظ**، الفكر العربي، بيروت، العددان (٨،٩)، ١٩٧٩م.

٤٥-عبد الرحمن أيوب (دكتور): **المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب**، اللسان العربي، الرباط، مج ١٦، ج١، ١٩٧٨م.

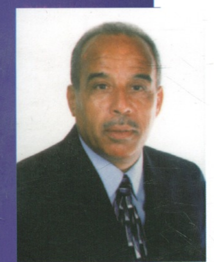
٤٦-عبد القادر المهيري (دكتور): **الجملة في نظر النحاة العرب**، حوليات الجامعة التونسية، العدد (٣)، ١٩٦٦م.

٤٧-مازن الوعر (دكتور): **علم اللسان من البنيوية إلى الذهنية**، المعرفة، دمشق، العددان (٢٢٠-٢٢١)، ١٩٨٠م.

٤٨- ـــــ : **لقاء مع نوام تشومسكي**، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، ع(٦) سنة ١٩٨٢م.

٤٩-محمد الشاوش: ملاحظات بشأن تركيب الجملة في اللغة العربية، أشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، مركز الدراسات، تونس، ١٩٨١م.

نشرت هذه الدراسة في مجلة "البلقاء" للبحوث والدراسات، جامعة عمان الأهلية، مج (٣)، ع(١)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.



المؤلف في سطور

* ولد في دير أيوب بفلسطين (١٩٤١ م).

* حصل على : الثانوية العامة (المترك) ١٩٥٩ م ،
دبلوم كلية المعلمين (القسم العلمي) ١٩٦٢ م
و الليسانس في اللغة العربية و آدابها ١٩٦٩ م ،
و درجة التخصص (الماجستير) في النحو والصرف ١٩٧٣ م ،
و العالمية (الدكتوراه) ١٩٧٩ م في النحو و الصرف - جامعة الأزهر .

* انتظم في دورات مكثفة في إستخدامات الحاسوب و الانترنت ، و برامج الندوات في إطار (اللسانيات الحديثة) في أمريكا .

* عمل في التعليم العام في كل من : الأردن و الكويت ، مدرسا لمادة الرياضيات و أستاذا جامعيا في جامعات : تلسمان / الجزائر ، و كلية المعلمين / السعودية ، و جامعة الإمارات العربية المتحدة ، و محاضرا غير متفرغ في كلية التربية (جامعة الملك سعود) بأبها ، و الجامعة الأردنية .

* يعمل الآن أستاذا للعربية و اللسانيات الحديثة بالجامعة الهاشمية .

* أشرف على بحوث كثيرة لطلبة الدراسات العليا و ناقش عدداً كبيراً من رسائل الماجستير و الدكتوراه.

* عمل مستشاراً لغوياً في جامعة الإمارات العربية المتحدة .

* شارك في عدد كبير من الندوات و المؤتمرات العلمية المحلية و الدولية .

* له مايزيد على (٢٥) كتاباً و بحثاً منشوراً في دوريات محكمة ، عدا المقالات و المعالجات المنشورة في الصحف و المجلات الثقافية و المشاركات في البرامج و الندوات الإذاعية و التلفازية.





دار الحامد للنشر والتوزيع
الأردن-عمان
هاتف :٥٢٣١٠٨١ - ٦ - ٠٠٩٦٢ فاكس :٥٢٣٥٥٩٤ - ٦ - ٠٠٩٦٢
ص.ب. : ٣٦٦ عمان ١١٩٤١ الأردن